الطعام في جينه

(١٠)

السقوط المتكرر

إعداد
أنور داود

السقوط المُتكرِّر

جمع وإعداد

أنور داود

٢٠١٣

السقوط المتكرر

جمع وإعداد : أنور داود
مراجعة : خادم الرب الأخ / نبيل عجيب
إخراج فني : صفوت نظير
تصميم الغلاف : جوزيف يوأنس
الناشر : دار الإخوة للنشر
بريد الكتروني : brethrenpub@gmail.com

يطلب من مكتبة الإخوة :
٣ ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤
وفروعها:
مصر الجديدة : ٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣
الإسكندرية : ٦ ش الفسطاط كيلوباترة ت: ٥٤٦٥٣٦٦
المنيا : ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦
أسيوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى
طبع بمطبعة الإخوة – بجزيرة بدران
Printed in Egypt

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٩٧٩١
طبعة أولى : أكتوبر ٢٠١١

تقديم

«فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (لو ٥: ٣١ و٣٢).

هذه الآية وغيرها الكثير توضح أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الخطية والمرض، وأيضًا أوجه شبه عديدة بينهما. إذ لكل منهما أسبابه وأعراضه وكذلك طرق للوقاية والعلاج.

الكلام عن الخطية والمرض ليس مُريحًا أو مُلذًا ولا سيما لغير المُتخصِّص، بل يُسبِّب التعب والحزن، ولكن ليس كل ما هو مُريح أو مُلذ هو نافع، وأيضًا ليس كل ما هو مُتعب أو مُحزن مُضر، ولا سيما في الأمور الروحية، هناك تعب يجلب الراحة، وحزن يعقبه الفرح.

الكتاب المقدس فيه الكثير من الاختبارات التي كشفت العديد من الخطايا التي وقع فيها مؤمنون أفاضل وكُتبت لتحذيرنا وإنذارنا. وكما يحدث في الأمراض هكذا أيضًا في الخطية، في كل عصر يكتشف العلماء أمراضًا جديدة مثل الإيدز، هكذا أيضًا في المجال الروحي توجد خطايا عصرية، حتى القرن الماضي كنا نسمع عن إدمان المخدرات أو الكحوليات، ولكننا الآن نسمع ونقرأ عن إدمان الإنترنت والفضائيات. كما يوجد تحور وتطور في مُسبِّبات الأمراض، هكذا أيضًا في أسباب الخطية. هناك أمراض خطيرة فتَّاكة سببها ضعف المناعة أو الجهل

والاستهتار، هكذا أيضًا في أمر الخطية وتكرار السقوط فيها، نجد القاسم المشترك في أسبابها لا يخلو من هذه الأمور.

عزيزي ... لا شك أن العناية الإلهية رتَّبت أن يكون هذا الكتاب بين يديك الآن، وهو صغير الحجم كثير الفائدة، أرجو أن تفحص كل فصل من فصوله بتدقيق وإخلاص، كُنْ واثقًا أن الرب يبغي أن يُنبِّهك إلى أمور لم تُعيرها أهمية في الماضي، وستكتشف مدى حاجتك الشديدة إلى معرفتها لتساعدك على النُصرة والنجاح في حياتك الروحية والزمنية أيضًا. إذ لم يكتفِ الأخ/ أنور داود بشرح أسباب السقوط المتكرِّر في الخطية، بل أفرد فصولاً عن معونات النعمة التي أُعطيت لنا في المسيح لنحيا كمؤمنين حياة العِتْق والتحرير.

نبيل عجيب

مقدمة

الخاطئ

البعيد عن الله يشرب الإثم كالماء، دون مَلامَة على الضمير، لأنه كثيرًا ما يلتمس العذر لنفسه فيخدِّر ضميره حتى يخمد صوته، كما أن معظم الذين يفعلون الخطية في الزمن الحاضر لا يُدركون شناعتها، وكم هي بغيضة في نظر الله.

لكن يختلف الحال مع المؤمن الحقيقي الذي يسكن فيه الروح القدس إذ يشعر بأن الخطيَّة شيء غريب عليه وسقوطه فيها أمر مُرعب إذ يشعر بانقطاع شركته مع الرب، ولن يهدأ له بال إلاّ بعد الاعتراف بها واسترجاع الشركة.

هناك فارق بين السقوط في الخطية والعيشة فيها، فالذي يعيش في الخطية شخص خاطئ ويتلذَّذ بفعل الخطية مستخدمًا الوسائل الدفاعية ليبرِّر الأخطاء التي وقع فيها، أو يُشير إلى الأخطاء التي في الآخرين وينتقدها حتى لا تظهر خطاياه. وهو يشبه الخنزير الذي يجد لذَّته وسروره في الوحل؛ أما المؤمن فلسان حاله حتى وإن سقط في الخطية: «نحن الذين مُتنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟» (رو٦:٢). تمامًا مثل الخروف عندما يسقط في الوحل فينهض سريعًا وينفض ما علق به من قاذورات.

يسقط المؤمن في الخطية لأنه لم يَخْلُص بعد من جسد الخطية، وبالتجاوب مع إغراءات العالم وحروب إبليس ونداءات الجسد يحدث السُّقوط، وإن كانت الخطيَّة لا تجعل المؤمن يفقد امتياز بنويته لله أو ميراثه مع المسيح، لكنها تتسبَّب في حُزن الروح القدس، وفي حرمان المؤمن من التمتع بالشركة مع الرَّب، وربما هذا نوع من أنواع تأديبات الآب المُحب لكي لا نبقى في الخطيَّة كثيرًا، فنتوب عنها ونرجع للرب ونسترد من جديد شركتنا معه.

ليت هذا الكتاب الذي يتطرق لهذا الموضوع من جوانبه المختلفة يكون سبب يقظة لشباب يترنحون بسبب السُّقوط في الخطيَّة، علَّهم يختبـــرون من جديد حياة النُّصرة في المسيح.

أنور داود

المحتويات:

الفصل	الموضوع	صفحة
الأول	الخطية أسبابها وأضرارها	٩
الثاني	السقوط المتكرر	٣١
الثالث	السقوط المتكرر وسن المراهقة	٣٧
الرابع	الشعور بالذنب	٤٣
الخامس	إذا سقطتُ أقوم	٦٧
السادس	حياة النُصرة	٧٩
السابع	التوبة	٨٧
الثامن	ثبات مركز المؤمن	٩١
التاسع	المشكلة الشبابية	٩٩
العاشر	الإنترنت بين المتعة والإدمان	١١٣
الحادي عشر	السقوط المتكرر والعتق	١٢٣

الخطية

أسبابها وأضرارها

اختلف الناس في ماهية الخطية، لكن دعنا نفكر على سبيل المثال في العبارة المألوفة ''أخطأ الهدف'' ومعناها ''لم يصب الهدف أو انحرف عنه''. من هنا يتضح لنا أن الخطية ليست هي الشَّر الشنيع فحسب بل هي أيضًا الانحراف عن حق الله بوصفه القاعدة التي وضعها الله لسلوكنا في العالم الحاضر.

يسقط المؤمن في الخطية لأنه لم يتحرَّر بعد من جسد الخطية. فإذا كان المؤمن قد خلص من دينونة الخطية، وأخذ من الله طبيعة جديدة تكره الخطية، إلا أن الطبيعة العتيقة التي تحب الخطية وتشتاق إليها ما زالت تسكن فيه.

وتكرار السُّقوط في الخطيَّة قد يحولها إلى عادة وإلى طبع، ويجعل جذورها راسخة في القلب والعقل، وبتكرارها تكمن في العقل الباطن، وتُصبح مصدرًا للأحلام والأفكار والظنون والشهوات، بل قد تصير خطرًا على الإنسان إذا ما تحولت إلى أعمال إرادية وإلى عبودية للخطية؛ لأنه كلما تكرر سقوط المؤمن في الخطيَّة تصبح إرادته أضعف

وتُصبح قابليته لحياة البِرِّ أقل، وكذلك قد يصبح تأثره بالوسائط الرُّوحيَّة أقل أو قد لا يقبلها!

أسباب تقود للسقوط في الخطيَّة:

أولاً: إهمال كلمة الله والصلاة:

لا شك أن كلمة الله عندما تُختزَن في القلب، وتُستَخدم في وقتها تمنع المؤمن من السقوط في الخطية أو التجربة «خَبَأْتُ كلامك في قلبي لكيلا أُخطئ إليك» (مز ١١٩:١١)، كما أن الرب له المجد عندما كان في الجسد على الأرض استخدم الكلمة في كل ما تعرَّض له من تجارب مع إبليس (مت٤:١-١٠؛ لو٤:٢-١٣)، وقُبيل الصليب حرَّض تلاميذه على السهر والصلاة لئلا يقعوا في تجربة (مت ٢٦: ٤١، لو٢٢: ٤٠،٤٦).

ثانيًا: إهمال الشركة مع القدِّيسين والمُعاشرات الرديَّة:

فإذا لم تكن هناك شركة حقيقية مع القدِّيسين فلا بد أن تحل محلها شركة مع غير المؤمنين، والكتاب يُحذِّر من هذا لأنها حقًا تُفْسِد الأخلاق الجيدة؛ فما أكثر الذين سقطوا لسبب مشورة من صديق، أليس هذا ما حدث مع «أمنون» في خطيته مع أخته «ثامار» عندما نفَّذ مشورة صديقه يوناداب (٢صم ١٣:٥)؟ لذلك يقول الكتاب: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار» (مز ١: ١).

ثالثًا: النظرات الشرِّيرة:

التأمُّل في الأجساد، والنظر لها بغرض الشهوة هو زِنَى، كقول الرب: «إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيَها، فقد زَنَى بها في قلبه» (مت ٥:٢٨). وقال أحدهم: ''لا تنظر إلى الوجوه بغرض الشهوة''. وقد

تقود هذه النظرات للسقوط فعليًا في الخطيَّة مثلما حدث مع داود (٢صم١١:٢). قال أحدهم مرة مدافعا عن نظراته: ''هل وأنا سائر في الشارع أغمض عيني؟! فأجابه الآخر: ''لا تغمض عينيك، لكن لا تمشي ببطء متأملاً في أجساد الناس''. ليكن لك هدف محدَّد في سيرك ولا تكن مثل اللص الذي يتجول بعينيه في كل الاتجاهات ليتلصَّص النظر للأخريات.

- هناك مقولة شهيرة للقديس أوغسطينوس: ''أي شيء تشتهيه وأنت لم ترهُ''. فأنت لن تشتهيَ ما دمت لم تنظر.
- فالنظرات الشِّريرة النابعة من الشهوة هي بداية السلسلة؛ حيث يتبعها أفكار، ثم تليها خطايا.
- والعين تُعتبر من أهم المداخل التي يدخل منها إبليس إلى داخل الإنسان، وكذلك الأُذن، «العين لا تشبع من النظر، والأُذن لا تمتلئ من السمع» (جا١: ٨)، فمسؤوليتنا هي ضبط هذه المنافذ (مر ١٣: ٣٤).
- لذلك فدورنا ألا نترك فرصة للجسد لرؤية المناظر المُلفتة للنظر. ونقرأ في بطرس الثانية ٢: ١٤ أن العين تزني، وفي سفر الجامعة ١: ٨ أنها لا تشبع من النظر.
- تأمل العهد الذي أخذه أيوب على نفسه في ما يخص موضوع النظر: «عهدًا قطعت لعينيَّ، فكيف أتطلَّع في عذراء؟» (أي ١:٣١).
- وهناك أمثلة لشخصيات ذُكرت في الكتاب كانت النظرات الشِّريرة هي عِلَّة سقوطهم: شكيم ابنُ حَمُور (تك ٣٤: ١-

٥)، شمشون (قض ١٤: ١؛ ١٦: ١)، داود (٢صم ١١).

- وأخيرًا، لنتذكَّر أن أول خطيَّة في التاريخ كانت بسبب النظر «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجةٌ للعيــون، وأن الشجرة شهيَّةٌ للنظر» (تك ٣: ٦).
- فلننتبه إلى تحريض الرَّبّ: «إن كانت عينك تُعثرك فاقلعها» فيجب عدم ترك العنان لها لتنظر إلى أي شيء.

احذر من النظرة الغير مُقدسة، إذ أنهــا منفذ يدخل منه إبليس إلى أذهاننا، ويطبع آلاف الصور ليستخدمها في وقت فراغنا ليُحاربنا بها.

رابعًا: الأفكار الشِّريرة:

الذهن هو مركز الأفكار، هو ساحة المعركة مع إبليس؛ إذ أن أغلــب حروبه تكون بدايتها الفكر، وترجع أهمية الأفكار إلــى أنهــا مــصدر للأعمال، أو بمعنى آخر هي بذور الأعمال، فالتصرفات دائمًــا تــسبقها أفكار.

قد نظن خطأ أن خطايا الأفكار أقل تأثيرًا من خطايا الأفعــال؛ لأننــا ننظر إلى تأثيرها على الآخرين. فالأفكار لا تضر الناس، وهــي غيــر معروفة بالمرة، لكن لو رجعنا إلى كلمة الله سنجد أن داود يقر بذلك في مزمور ١٣٩: ٢ و٢٣ و٢٤، ويطلب من الرب أن يعرف فكره ويعالجه إن كان فيه خطأ ما. وفى أيام جسده؛ كم من المرات كشف الرَّبّ خطايا الأفكار ووبَّخها تمامًا كخطايا الأفعال (انظر لوقا ٧: ٣٩؛ ٩: ٤٦).

✓ **خطوات في طريق النصرة على الأفكار الخاطئة:**

١- اعلم أنك تتعامل مع إله قدُّوس كُلي العلم، ومقياس الخطيَّة عنده يصل إلى خطايا الفكر، بل والدوافع «فكر الحماقة خطيةٌ» (أم٢٤: ٩).

٢- اشغل فكرك بكل ما هو سامٍ «أخيرًا أيها الإخوة كل ما هو حقٌ، كل ما هو جليلٌ، كل ما هو عادلٌ، كل ما هو طاهرٌ، كل ما هو مُسرٌّ، كل ما صيته حسنٌ، إن كانت فضيلةٌ وإن كان مدحٌ، ففي هذه افتكروا» (في ٤: ٨)؛ حتَّى إذا جاء الشيطان لا يجد لديك مكانًا لما يُريد أن يقدِّمه لك. فهناك مقولة فيها الكثير من الصواب: ''العقل الفارغ معمل للشيطان''.

٣- نحن لا نستطيع أن نمنع الطيور من أن تُحلِّق فوق رؤوسنا، لكن نستطيع أن نمنعها من أن تُعشِّش فيها. بمعنى أنه قد يأتي إبليس لنا بأفكاره مُحاربًا أذهاننا، فدورنا في هذه الحالة هو رفض وطرد هذه الأفكار من بدايتها.

٤- احذر من أعمال الجسد وخطاياه، فخطايا مثل الحسد والكراهية والكبرياء تصبح في أحيان كثيرة مادة لحرب الأفكار.

خامسًا: الشعور بالنقص:

الإحساس بالنقص أو عدم الثقة في النفس أو عدم قبول الآخرين قد يقود البعض للسقوط في الخطيَّة، وتُصبح الخطيَّة في هذه الحالة هي نوع من التعويض النفسي الداخلي عن الشيء الذي نشعر أنه ينقصنا.

سادسًا: الرغبة في الاكتشاف:

قد يسقط البعض في الخطيَّة كنوع من التجريب والاكتشاف وينتهي به

الأمر إلى **السُّقوط المتكرِّر**، ظانًا منه أنه في المرة التالية سيحصل على شيء مختلف، ولكنه لن يُحَصِّل سوى على التعب والعبودية، بل يصبح السُّقوط في الخطيَّة في حُكم الإدمان حيث يعملها بكثرة بحُكم التعوُّد، لكي يصل للسعادة المنشودة لكن ما يحصُل عليه هو التعاسة والبؤس.

سابعًا: إهمال سلاح الله والكبرياء الروحي:

قد يشعر البعض بالزهو لسبب حياة النصرة في بعض الأوقات وينسى أن نعمة الرب هي التي تحفظه، وأن الانتصار يرجع لمعونات الرب، مما يُسبِّب نوعا من الاسترخاء وإلقاء السلاح وبالتالي السقوط في الخطية، ولكن الكتاب يحذِّر من هذا، ويحرِّض المؤمن على لبس السلاح باستمرار (أف٦: ١٠- ١٨).

وذات الأمر يحدث مع مَنْ يَدينون إخوتهم لسقطاتهم، وكأنهم هم في منأى عن السقوط، فلا نستغرب عندما يسقطون في ما يدينون فيه غيرهم. ولا ننسي أنه «قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم ١٨:١٦)، و«مَنْ يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠:١٢).

ثامنًا: الخداع الروحي:

يدَّعي البعض أن الخطيَّة هي الطريق إلى التواضع، وكأن الله يريدنا أن نسقط فيها لأجل هذا الغرض المقدَّس!! ويجهل أن الله لا يعتمد على الخطايا ليقودنا بواسطتها «الله غير مُجرَّب بالشرور، وهو لا يُجرِّب أحدًا» (يع ١: ١٣). وإن كانت هناك طُرق ليُعلِّمنا بها الاتضاع فعنده الكثير من الطُرق المُبارَكة من تجارب وآلام وخلافه، لكن ليست من بينها الخطيَّة.

تاسعًا: الانهيار الروحي:

لتوضيح الفكرة أستعير هذا المثل الذي يقول: ''قبل أن تقع الشجرة كان السوس ينخر فيها''[١]. مَثَل صحيح يستحق التأمل. ليتنا نتأمل فيه ونحن في محضر الرب، وقلوبنا مكشوفة أمامه، وبصدق وبإخلاص نفحص قلوبنا وضمائرنا ودوافعنا التي لا يراها سواه.

أ ليس من العجيب أن تقع فجأة الشجرة الوارفة؟ الشجرة التي كانت محل إعجاب المارة واندهاشهم؟ الشجرة التي كانت تزهو بثمارها الشهية، والتي قطف من ثمارها الكثيرون، فرطبت حلوقهم الجافة، وضخت الصحة والحيوية في أجسادهم الهزيلة، بل وشفت أمراضهم، ونضرت بسببها وجوههم؟ **كيف إذًا وقعت الشجرة؟**

إنني أضع هذا السؤال أمام كل شخص مُخْلِص يقرأ هذه الكلمات ليتوقف أمامها ولو للحظات ... فقد تكون قارئي العزيز شخصًا مُكرَّسًا لك خدمتك وموهبتك، وهذا حسن جدًا، ولكن إذا فحصت قلبك بأمانة ستُدرك أن هناك خللاً ما يُعطِّل أفراحك، وحينها يجب أن تتوقف، فهذا في غاية الأهمية. إنني أرجوك، وأقولها بكل محبة وإخلاص، أرجوك أن تتوقف لتفحص قلبك في محضر الرب، وتحكم على كل رغبة أو فكر أو دافع منافي لكلمة الله والحق الذي تعلَّمته.

وإذا كان الحُكم على نفسك يبدو صعبًا ومؤلمًا لأنه يعني التخلِّي عن أمور لها في قلبك مكان، فأعلم يا أخي الحبيب أن الدموع التي ستذرفها بسبب حُكمك على نفسك أقل كثيرًا جدًا من الدموع التي ستذرفها لو حَكم الله عليك، ووقعت تحت التأديب. والألم الذي ستُعانيه لهوَ أهون كثيرًا

---

[١] كاتب غير معروف (المراعي يونيو ٢٠١١).

جدًا من الألم الذي ستتجرعه لو أنك لم تتوقف وسرت في طريقك الـــذي اخترته لنفسك غير مبال بتحذيرات الله.

واعلم عزيزي أنه قبل أن يقع داود كان السوس ينخر في عظامه، فلم يعد يُحارب حروب الرب، إذ كان قد ألقى بسلاحه جانبًا. ومـــا أبـــشع وأقسى وأمَرّ ما حصده!

وقبل أن يقع شمشون كان سوس من نوع آخر ينخر فـــي عظامـــه؛ سوس ما يزال الشيطان يستخدمه بضراوة وبأساليب متنوعة وكثيرة.

أخشى عليك عزيزي المؤمن من أن يكون هناك سوس ينخـــر فـــي عظامك وأنت متغافل عنه، لكنك تشعر باختفاء الأفراح الأولى، ومع هذا تستمر سائرًا في طريقك شاعرًا بسلام وهمي، ولا تعلم أنه لا بد أن تقع الشجرة فجأة، ووقتها ستستيقظ ولكن بعد فوات الأوان، بعد أن تكون يد الرَّبّ قد خرجت عليك.

عاشرًا: الطبيعة القديمة الساكنة فيَّ:

حيث فيها كل أنواع الفساد الذي كنت أعيش فيه قبل الإيمان ... قبل تسليم حياتي للرب.

حادي عشر: إبليس وحروبه:

الذي «يجول مُلتمسًا مَنْ يبتلعه هو»(١بط٥: ٨). حروب إبليس وحيله ومكايده كلها تؤدي إلى السُّقوط في الخطيَّة.

ثاني عشر: عدم الهروب:

احترز من المكوث في مجال الخطيَّة. قال الرَّبّ عن إبليس: «قاوموه راسخين في الإيمان»، أما عن الشهوات الشبابية فقال: «اهرب منها» (٢تي ٢: ٢٢)، لأنك لو تركت نفسك في مجال الخطيَّة ستنهزم لا محالة!

✓ أضرار الخطيَّة على المؤمن وعلى خدمته:

للخطية آثارها السيئة على المؤمن فهي تُحني النفس (مز٤٤: ٢٥) وبسبب الخطية كم من غني أصبح فقيرًا، بل قد يفتقر المرء إلى رغيف خبز من أجل امرأة زانية (أم ٦: ٢٦)، وتؤدي إلى فقدان بهجة الخلاص (مز٥١: ١٢)، وإلى الفتور الروحي. إلى غير ذلك من النتائج المريرة (أم٢٣: ٢٩، ١٤: ٢٤؛ إر٥: ٢٥). فهناك مبدأ إلهي: «فإنَّ الذي يزرعه الإنسان إيَّاه يحصد أيضًا» (غلا ٦: ٧).

- الخطيَّة تعطِّل وتعيق الخدمة، والآيات التالية توضح مدى ارتباط الخدمة بحياة القداسة العملية (٢تي ٢: ٢١؛ عب ١٢: ١؛ ١بط ٣: ١٥)، لكن الخطية لا توقف الخدمة نهائيًا، ففي مزمور٥١ أثناء اعتراف داود بخطيته الشهيرة نراه يُصلِّي إلى الرَّبّ ويقول: «رُدَّ لي بهجة خلاصك، وبروحٍ منتدبة اعضدني. فأُعلِّم الأثمة طُرقك، والخُطاة إليك يرجعون»؛ أي أنه بعد رد النفس تتواصل الخدمة مرة أخرى، وهذا عين ما قاله الرب لبطرس قبل الإنكار: «وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك» لو(٢٢: ٣٢). نعم، إن الخدمة تعطَّلت، ولكن لم تنته، بل وفي نهاية مزمور٢٧ تكلَّم عن السجود وقال: «فاذبح في خيمتك ذبائح الهتاف»، فرجع أيضًا لله كساجد.
- الخطيَّة لها أضرارها على حياة المؤمن نفسه، فهي سبب في مد الرَّبّ علينا بالتأديب يده (عب ١٢)، حيث أن أحد أغراض التأديب الأبوي هي لكي نشترك في قداسته؛ أي نتوافق معه بالعيش بالقداسة.

- الخطيَّة مُعوِّق للنمو الروحي فهي تُحزن الروح القدس فيتعطَّل عمله من جهة نمو المؤمن، فبدلاً من عمله في بنيان المؤمن فإنه يعمل على ردّ نفسه.
- تجعل المؤمن يخسر شهادته، إذ يشتكي إبليس إلى ضمير الآخرين عن المؤمن، يستغل ضعفات المؤمن ويستعرضها لدى ضمير الآخرين حتَّى يُضعف تأثير شهادته (تك١٩: ١٤)، وهذه الشكاية يستخدمها دائمًا ضد مَنْ يخدمون الرب.

ما هي الخطوات التي يجب أن يتخذها المؤمن عندما يخطئ؟

١- **الرجوع في الحال للرب:** «لا تَشمَتي بي يا عدُوَّتي، إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة فالرَّبّ نورٌ لي ... وتَرى عدُوَّتي فيغطِّيها الخزي، القائلة لي: أين هو الرَّبّ إلهك؟ عيناياَ ستنظران إليها. الآن تصير للدَّوس كطين الأزقَّة» (مي ٧: ٨-١٠). أي عندما نرجع وننتفض بسرعة من مشهد الضَّعف، فإننا بذلك نُضيِّع على العدو فرصة الشكاية لدى ضمائرنا عن أنفسنا، فلا نتعطَّل في ركضنا بل نظل راكضين فلا يصيب العدو سوى الخزي، فما أخطر احتضان الشَّرّ وعدم التوبة عنه فقد تتبلَّد أحاسيس المؤمن تُجاه الشر.

٢- **تذكَّر أن قلب الرَّبّ مملوء بالمحبة والغفران،** فإن كان ردّ الرَّبّ على سؤال بطرس عن مقدار غفران الإنسان لأخيه سبعين مرة سبع مرات، فكم وكم يكون قلب الرَّبّ الغافر؟!

وهناك آيات تشجِّع على الاعتراف ومن خلالها نثق في غفران الرَّبّ

لنا: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتَّى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثمٍ» (١يو ١: ٩) «وإن اخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار» (١يو ٢: ١). وفي اعترافنا للرب نحن لا نطلب منه الغفران فهذا عمله بل نعتذر عما فعلناه. ولا ننشغل كثيرًا بتفاصيل ما حدث، فالله يعلم كل شيء، فلا نسمح للعدو بأن يُشغلنا كثيرًا بما حدث لكي لا يأخذنا من جديد لجو الخطيَّة.

وعند اعترافنا لا بد أن نثق أنه غفر، فلا ننتظر حتَّى نشعر بالغفران لكي نُصدِّق أنه غفر. فالغفران لا يرتبط بالمشاعر، بل بوعد صريح أنه يغفر لنا غفرانًا أبويًا في حال رجوعنا إليه (١يو١: ٩).

✓ **لنحذر من عدم الغفران للنفس.**

فالشيطان أحيانا يُذكِّرنا بخطايا **مُعيَّنة**، ويقودنا لأن نستكثر على أنفسنا فعل هذا النوع من الخطايا، فنبدأ نشعر بالذنب من جديد، ونفضل الانعزال والانطواء والانسحاب من الأنشطة الروحية فنقع في دائرة اليأس والفشل والكآبة وهذه بوادر مرض مُدمِّر اسمه ''**الشعور بالذنب**'' وهو راجع للكبرياء أو الجهل الروحي، وعدم الإدراك لغفران الله وصدقه من جهة مواعيده.

٣- **التوبة القلبية:** أن مراجعة وامتحان النفس يقودان إلى التوبة القلبية عندئذ يضع الإنسان يده على مواضع الضَّعف، ويُقِرّ بها في محضر الله، ويلوم نفسه ويبغض من قلبه الضَّعف بكل صوره، ويعلن أمام الرَّبّ عن رغبته في ترك الخطيَّة وعدم الرجوع نهائيًا إلى هذا الضَّعف، وهذا يعني لا أن نعترف بالخطيَّة فقط، بل أن نتركها «مَنْ يقر بها ويتركها يُرحم» (أم٢٨:

١٣)، لكن مَنْ يعترف بالخطيَّة وفي داخله نيَّة للرجوع إليها مرة أخرى فهو يظن أنه يخدع الله، مع أن الله لا يُشمخ عليه. مع الأخذ في الاعتبار أنه ليس كل كف عن الخطيَّة هو توبة، فالبعض لا يعمل الخطيَّة خوفًا من نتائجها أو خوفًا من العقاب أو لأنها غير متاحة، ومع ذلك يتحين الفرص لارتكابها، هذه ليست توبة على الإطلاق، **وكافة الخطايا يجب أن نتوب عنها.** صحيح أن هناك نقاط ضعف لكل مؤمن تختلف عن الآخر هذه تستلزم سهرًا وحرصًا، لكن يجب أن نضع في بالنا أن السفينة لا تحتاج لأكثر من ثقب لكي تغرق. لهذا لا يجب أن نتساهل مع الشَّرّ وشبه الشَّر(كل أشكال الشرِّ)[٢]. وعندما ترتقي حياة المؤمن تكون له الحواس المُدرَّبة، فيتوب عن خطايا قد لا يعتبرها البعض خطايا؛ فنقص المحبة للرب مثلا هو خطية، وبمراجعة كلام الرَّبّ لملاك كنيسة أفسس نفهم أنها تحتاج لتوبة: «لكن عندي عليك: أنك تركت محبتك الأولى[٣]. فاذكر من أين سقطت وتُبْ، واعمل الأعمال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريبٍ وأُزحزحُ منارتك من مكانها، إن لم تَتُبْ» (رؤ٢: ٤،٥)، والتوبة ليست هي محاولة تقليل مرات السقوط في الخطية فهذه محاولات للتوبة وليست توبة. (تابع المزيد عن التوبة في الفصل السابع).

٤- **لا تنصت لصوت إبليس وشكايته.**

فهناك فارق كبير بين تبكيت الروح القدس وشكاية إبليس. فهناك:

---

[٢] every form of wickedness

[٣] that thou hast left thy first love

✍ ضمير يتأنَّب لسبب الخطيَّة، وينتج يأسًا، هذا صوت الشيطان.

✍ ضمير يتأنَّب لسبب الخطيَّة، وينتج رجاء هذا صوت الروح القدس.

قال أحدهم:

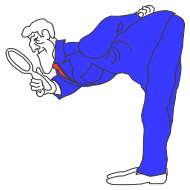

''إن إبليس قبل الخطيَّة يرينا إيَّاها من خلال عدسة مُصغِّرة فنتساهل معها، وبعد السُّقوط يرينا إيَّاها من خلال عدسة مُكبِّرة فيتصور أمامنا مقدار فشلنا وإهانتنا للرب، فنفشل!''.

٥- **لا تسمح لإبليس أن يشتكي لدى ضميرك:** فإن كانت شكواه ضدك لدى الله مرفوضة، لوجود الرَّبّ كالشفيع (رو ٨: ٣٣)، فليت شكواه عنك لدى نفسك تكون مرفوضة أيضًا.

٦- **سيرد الرَّبّ نفسك:** البعض يتمنَّى لو رجع مثلما كان قبل السُّقوط أو حتَّى أقل قليلاً، وينسى مهارة الراعي في ردّ نفوسنا، **فهو يستطيع أن يُرجعنا لوضع أفضل مما كنا فيه.** فقد فعل الرب ذلك مع داود وبطرس (يو٢١: ١٥-١٧) ومرقس (أع١٣: ١٣و ٢تى٤: ١١)، ولا شك في أنه يفعل ذلك مع الجميع.

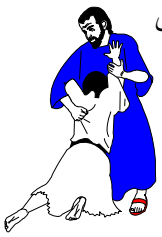

وللتأكيد نذكر معاملات الرَّبّ في ردّ بطرس:

- **ردّ ضميره:** لم يستطع الرب أن يكلِّم بطرس أمام الجواري لئلا يكشفه ولكن بنظرة فقط قادته إلى

الإحساس بحالته «فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مرًا» (لو ٢٢: ٦١ و٦٢).

- **ردّ قلبه:** برسالة أرسلها له يوم القيامة مع مريم المجدلية؛ وبظهور خاص له منفردًا، لا نعلم ماذا دار فيه لكننا نعلم مقدار تأثيره (مر١٦: ٧؛ ١كو ١٥: ٥).
- **رد نفسه تمامًا ورده إلى خدمته التي كان قد اختاره لها كصياد للناس وكخادم وكرسول** عند بحيرة طبرية بعد أن فَقَد الثقة في نفسه، وكأنه يقول لنفسه: أنا لا أصلح لاصطياد الناس سأرجع إلى صيد السمك. وإذ بالرَّبّ يظهر له وهو في قمة يأسه ويُجدِّد له ثقته فيه ويأتمنه على رعيته: «ارع خرافي» (يو ٢١:١٥-١٧ وأع٢: ١٤-٤١).

٧- **لن تؤثر الخطيَّة على الضمان الأبدي للخلاص:** فلنا وعد الرَّبّ المطمئن «خرافي تسمع صوتي، وأنا اعرفها فتتبعني. وأنا أُعطيها حياة أبديَّة، ولن تهلك إلى الأبد» (يو١٠: ٣٤) فالمؤمن لا يفقد الخلاص، فقد يخسر أفراح وتعزية الروح القدس له ويتعطل نموه الروحي وتتعطل خدمته لسبب السُّقوط في الخطيَّة، لكنها لن تفقدَهُ الميراث فهو محفوظ له، ولن تفقده البنويَّة **فهو ابن مدى الحياة.**

٨- **اطلب الحرية:** المؤمن المستعبد لخطيَّة بعينها مغلوب[٤] مثل لوط

---

[٤] السُّقوط بصفة مستمرة في الخطيَّة قد يكون سببه أن الشخص غير مولود من الله وهو كخاطئ=

في سدوم «... وأنقذ لوطًا البار مغلوبًا من سيرة الأردياء في الدعارة» (٢بط ٢:٧). يجب على المؤمن أن يطلب الحرِّيَّة من الرَّبّ ويُعلن عجزه أمام الرَّبّ عن مواجهة الخطيَّة، فسيعطيه الرَّبّ قوة للتحرير من سلطان الخطيَّة وسلطتها. ولكي يتضح هذا الأمر نذكر في معجزة إقامة الرَّبّ للعازر من الموت بعد أن أنتن (يو١١:٤٠) يقول الكتاب عن الرَّبّ يسوع: «ولما قال هذا صرخ بصوت عظيمٍ: «لعازر، هلُمَّ خارجًا!» فخرج المَيْتُ ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوفٌ بمنديل. فقال لهم يسوع: «حُلُّوه ودعوهُ يذهب»» (يو١١: ٤٤)، ومع أن الرَّبّ يسوع أعطى الحياة للعازر إلا أن قيود الماضي ''الأكفان'' كانت لا تزال تعطِّل حركته وتعوقه من الانطلاق للتمتع بالحياة التي أعطاه إيَّاها الرب، لذلك أشرك الرَّبّ الواقفين في فك تلك القيود منه. كذلك نرى أن كثيرين مع أنهم قد آمنوا بالرَّبّ يسوع وحصلوا على حياة جديدة فيه، إلا أن في حياتهم (وإن كان بدرجات متفاوتة) قيود من الماضي ما تزال تربكهم وتربطهم وتعوقهم عن التقدُّم الروحي.

وفي سبيل تحريرنا من هذه الربط يُشركنا الرَّبّ في هذه المهمة حتَّى نساعد بعضنا البعض بروح المحبة والنعمة في فك هذه القيود، وعندئذ تنمو حياتنا مع الرَّبّ دون معطلات وتزداد شركتنا بعضنا مع بعض عمقًا وقوة.

=يسقط باستمرار في الخطيَّة أو قد يكون مؤمنًا لكن مع التساهل في الخطيَّة والسُّقوط باستمرار ضعفت مقاومته وإرادته قدام الخطيَّة فصار مغلوبًا منها، وفي الحالتين الأمر يتطلب رجوع الشخص لمحضر الرَّبّ فهو عنده الخلاص للخاطئ والتحرير للمؤمن.

٩- **احذر السُّقوط المتكرِّر:** أحياناً مع السُّقوط في الخطيَّة ينتاب المؤمن حالة من الإحباط ويستسلم للمزيد من السُّقوط؛ فهو يشعر أنه طالما سقط مرة، فلا يهم إن سقط في المرات التالية ويصبح لقمة سائغة في يدي إبليس ويتناسى أن كل سقطة تُبعده أكثر عن الرَّبّ وتُضعف شركته مع الرَّبّ وتحوِّل الخطيَّة في حياته إلى عادة. الحل الأمثل هو أن يرجع المؤمن بسرعة ويُفوِّت على العدو فرصة إذلاله بسقوطه المُتكرِّر.

أسئلة وأجوبة عن موضوع الفصل الأول

سؤال: منذ أن تعرَّفت بالرَّبّ وأنا أعاني من حروب روحية مع الخطيَّة وإبليس. هل من أمل في أن ياتي وقت تنتهي فيه هذه الحروب؟

الإجابة[٥]: لا شك في أن الذي وُلِدَ من الله قد سكن فيه الروح القدس وامتلك طبيعة جديدة هي طبيعة الله برغباتها الرُّوحيَّة المقدَّسة، وهي عكس رغبات الطبيعة القديمة. وهذا هو سر الصراع في بداية حياة الإيمان. كما قال الرسول بولس: «فإني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرى ناموسًا آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني (الطبيعة الجديدة)، ويسبيني إلى ناموس الخطيَّة الكائن في أعضائي» (رو٧:٢٢، ٢٣). وهذا الصراع بين الطبيعتين قد ينتهي بالفشل وهزيمة للمؤمن. وهذا هو سبب الصرخة: «ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رو٧:٢٤). إلى أن يختبر المؤمن سر النُّصرة

---

[٥] أجاب عن السؤال د. محب نصيف.

في «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع»، الذي يعتق من «ناموس الخطيَّة والموت» (رو٨: ٢)، ويعرف قوة وتأثير الروح القدس.

لكن الصراع لن ينتهيَ بل سيأخذ طابعًا وشكلاً جديدًا، قال عنه بولس: «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غلا٥:١٧) وفي هذا الصراع النُّصرة مضمونة في شخص الروح القدس، طالما كان المؤمن سالكًا بالروح وموجودًا في مجال عمل الروح القدس.

إن مسؤولية المؤمن أمام رغبات الجسد التي تحاول أن ترفع رأسها، أنه بالروح يُميت أعمالها (رو٨: ١٣)، وأن يرفض ويدين كل ما يصدر من الجسد، ويتعلَّم أن يقول لنفسه: «لا».

أما الصراع مع إبليس وأجناد الشَّرّ الرُّوحيَّة في السَّماويَّات، فهو أمر متوقع لأننا نعيش في عالم يرأسه الشيطان. وما دمنا في أرض العدو فلا يجب أن نتوقع الهدنة. وعلينا:

أن نلبس سلاح الله الكامل باستمرار، لكي نقدر أن نقاوم في اليوم الشِّرير(أف٦:١٠-١٩)، وأن نقاوم إبليس فيهرب منا، ونقاومه راسخين في الإيمان. ونسهر ونصحو لأن إبليس خصمنا كأسد زائر يجول مُلتمسًا مَنْ يبتلعه هو (١بط٥: ٨). والشيطان قد يأتي كالحيَّة الخادعة بمكره أو كالأسد المُزمجر باضطهاده.

لكننا نعلم أن الرَّبّ يسوع قد انتصر على الشيطان في الصليب وجرَّده من قوَّته، وما عادت لشكواه على المؤمن أيَّة قيمة في نظر الله. وبفضل شفاعته فإن مركز المؤمن ثابت ومضمون عند الآب (عب٧:٢٥؛ ١يو٢:١).

إبليس يحاول أن يُعكِّر صفو المؤمن ويُكدِّر حياته ويثير الزوابع ضده، فيغريه بفعل الخطيَّة حتى يُعطِّل شركته ويفسد شهادته ويفشِّل خدمته. لهذا يجب أن نكون ساهرين ولا نعطيه مكانًا، لأننا لا نجهل أفكاره.

أما متى ينتهي الصراع وتنتهي الحرب: فطالما نحن هنا سيظل الجهاد مطلوبًا، ولكن بالطبع مع النمو والنضوج واكتساب الخبرات الرُّوحيَّة سيختلف طابع الصراع وسيكون المؤمن أكثر هدوءًا وسلامًا وثباتًا في الميدان. وبالطبع لكل مرحلة عمرية ظروفها وتجاربها، ولكل مؤمن نقاط ضعفه، طالما لا زلنا في البرية، ولا زال الجسد فينا. وعند مجيء الرَّبّ سينتهي الجهاد وتنتهي الحرب، ولما تنتهي الحرب نُكلَّلُ.

سؤال: ما هو الفرق بين الطبيعتين؟ ولماذا أراد الله بقاء الطبيعة القديمة بعد الإيمان؟ وما هو موقف المؤمن من وجود طبيعتين داخله؟

الإجابة[٦]: الطبيعة القديمة فاسدة ولا يمكن إصلاحها، وتحاول دائمًا أن تجرَّ المؤمن نحو الخطيَّة (رو٧: ٢١)، أما الطبيعة الجديدة فلا تطلب إلاَّ الصلاح، وتحاول دائمًا أن تقود المؤمن في طريق القداسة (رو٧: ٢٢).

الطبيعة القديمة تَركها الله فينا بعد الإيمان، لنعلم ضعفنا وأننا لا شيء، فنلتجئ إلى الرَّبّ للاعتماد عليه من أجل القوة لمقاومة التَّجربة (رو٧: ٢٤).

أما موقف المؤمن من الطبيعة القديمة: فعليه أن يُبقيَها في حُكم الموت؛ وهذا يعني أنه كلما حاولت الطبيعة القديمة أن تُشيرَ على المؤمن

---

[٦] أجاب عن السؤال: وليم ماكدونالد.

بعمل الشَّر، عليه أن يرفض الانصياع لما قد دانه الله (رو٦: ١١ و١٢).

أما موقفه تجاه الطبيعة الجديدة: فعليه أن يُغذِّيَها ويُشجعها بواسطة دراسة الكتاب المقدس وقضاء وقت في السجود والصلاة، وخدمة الرَّبّ والسعي للقيام فقط بالأشياء التي ترضي الرَّبّ فيظهر فيه ثمر الروح (غلا٥: ٢٢ و٢٣).

سؤال: ماذا يكون موقف المؤمن إذا مات بخطيَّة غير مُعترف بها؟

الإجابة[٧]: الرَّبّ يسوع احتمل عقاب جميع خطايا المؤمن ماضيه ومستقبله، كما أنه عندما مات الرب على الصليب كانت كل خطايا المؤمن في زمن المستقبل. وبما أن الرَّبّ يسوع قد دفع الثمن كاملاً، نستطيع أن نقول: إنه مات من أجل جميع خطايا المؤمن الماضية والحاضرة والمستقبلية حتَّى تلك غير المُعترَف بها وكذلك السهوات التي لا نشعر بها «مسامحًا لكم **بجميع** الخطايا» (كو٢: ١٣).

سؤال: لماذا يُحاربنا إبليس حربًا شرسة مع أنه يعلم أنه خسرنا أبديًا؟

الإجابة[٨]: صحيح أن إبليس يعلم تمامًا أنه خسرنا أبديًا، لكنه مع ذلك يُحاربنا حربًا لن تنتهيَ حتَّى مجيء الرَّبّ وفداء أجسادنا، عندئذ لن نتحرَّر من حروب إبليس فقط بل من حرب عدوين آخرين هما: الجسد والعالم، وهذان يحركهما إبليس أيضًا.

---

[٧] أجاب عن السؤال: وليم ماكدونالد.

[٨] أجاب عن السؤال: أنور داود.

أما عن مكاسب إبليس في حربه ضدنا فكثيرة، منها:

١- **تعكير حياة المؤمن:** فبغضته للإنسان قديمة وعميقة، وهو لا يريده أن يهنأ ويتمتع بالشركة الحبية مع الرَّبّ يسوع، وهو يَعلم يقينًا أن الخطيَّة تُعطِّل شركة المؤمن مع إلهه، لهذا يحاول جاهدًا أن يُسقط المؤمن في الخطيَّة.

٢- **تعطيل تأثير المؤمن:** فهو يعلم جيدًا أن عيشة المؤمن بطريقة صحيحة، ستجعله مثمرًا للرب، جاذبًا نفوسًا – هي في قبضة إبليس وملك له – للرب يسوع، وخبرات الماضي أثبتت لإبليس كم أن الحياة الشاهدة لمؤمنين حقيقيين تُنشئ عطشًا للعلاقة مع الرَّبّ يسوع في النفوس البعيدة المُحيطة بذلك المؤمن، وتحرك هذه النفوس للرجوع للرب، ولأنه يريد استمرار هذه النفوس مُستعبدة له، لهذا يبدأ الحرب مبكرًا بمحاولاته المستميتة لإضعاف شهادة المؤمن وتأثيره، فكيف يشهد مؤمن غارق في الخطيَّة بالحياة أو بالكلام عن الرَّبّ يسوع؟

سؤال: أنا شاب مؤمن، لكنني مغلوب من خطيَّة مُعيَّنة بصورة متكررة، هل يحق لي الاشتراك مع المؤمنين على مائدة الرب؟

الإجابة[٩]: هذه المشكلة يعاني منها قطاع كبير من المؤمنين الأحداث، في مرحلة الشباب المبكر. وهذه حالة مرتبطة بالطفولة الرُّوحيَّة والافتقار إلى النضوج والخبرة في فهم أساليب العدو، وخصائص الجسد، وفي فهم دور الروح القدس في تحقيق العتق وحياة النصرة. ويجب أن

---

[٩] أجاب عن السؤال: د. محب نصيف.

نعرف أن كل مؤمن لديه نقطة ضعف. والعدو بخبرته الطويلة مع البشر بنوعياتهم المختلفة (٦٠٠٠ سنة خبرة)، في أعمار مختلفة وظروف نفسية واجتماعية مختلفة، يعرف نقاط الضعف هذه ويشدد الهجوم عليها. لهذا يحدث الفشل والسُّقوط المتكرِّر.

والرَّبّ يريد من وراء ذلك أن يُعلِّم المؤمن فساد الجسد وعجزه، لكي يطرح كل ثقة ورجاء فيه. وعندما يكون الشخص مُخلَّصًا فإنه يشعر بالحزن واليأس كلما سقط في الخطيَّة، ويصلِّي ويجاهد محاولاً تحقيق الانتصار، لكنه يعود ويسقط مرة ومرات. ويعتريه الشَّك في إيمانه وفي إمكانية الحياة الرُّوحيَّة الناجحة والمنتصرة.

إنه بحسب رغبات الطبيعة الجديدة ينفر من الخطيَّة ويشمئز من نفسه عندما يفعلها. لكنه يرى في أعماقه قوة أخرى تحركه وتقوده مقهورًا لفعل الخطيَّة. إنه كمولود من الله يُسر بناموس الله، لكنه يصطدم بعنفوان الجسد ورغباته الشِّريرة التي لا يستطيع أن يسيطر عليها بقوته الذاتية. وهذا ما نراه في رومية ٧.

ومع تكرار الفشل يزداد الشعور باليأس ويقول مع مَنْ قال: «ويحي أنا الإنسان الشقيُّ! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت؟[١٠]». إنه جسد نشيط في فعل الخطيَّة، لكنه ضعيف ومائت بإزاء فعل إرادة الله. وقد يصل هذا المؤمن في بعض الأحيان، مع تكرار السُّقوط، إلى حالة من التبلد في الضمير نتيجة اليأس، ويصير الأمر زهيدًا أن يعمل الشَّرّ في عيني

---

[١٠] أو «من هذا الجسد الميت» from this body that is taking me to death? والتعبير مستوحى من طرق التعذيب والإعدام التي كان يستخدمها الرومان بربط جسد المُدان بجثة ميتة.

الرب، خاصة إذا سارت الأمور دون مشاكل كبيرة. إنه، بصفة عامة، مُختل الاتزان في هذه المرحلة، ويحتاج أن يتحول عن نفسه إلى الرب، ويعرف مركزه كمؤمن في المسيح، ويعرف فاعلية دم المسيح وكفاية عمله كالشفيع في العرش عندما يُخطئ، ويعرف الطريق إلى العتق والنُّصرة من خلال الروح القدس.

وعليه أن يُسرع فيوجد في مجال عمل الروح القدس لتتحقق هذه النُّصرة فيه بصفة دائمة.

وعندما يسلك بالروح ويكون في الجو الملائم له، فإن الروح سيقف ضد الجسد ويكبح جماح ورغبات الجسد.

وبالطبع خلال هذه الفترة من الصراعات وعدم الاتزان لا يصلح أن يشترك في مائدة الرب، حيث أنها ستكون ثقلاً على ضميره، تضيف إلى شعوره بالاضطراب والقلق واليأس مزيدًا من الخوف والحزن، بدلاً من أن تكون سبب بركة وتشجيع لنفسه. إنه ليس في وضع يجعله فرحًا أمام الرَّبّ لكي يُعيّد بذكرى موته. ومن الأفضل جدًا أن يتأنى في هذه الخطوة حتَّى يصل إلى حالة مستقرة من راحة القلب والضمير، والفهم لكفاية عمل المسيح ومعرفة الطريق إلى الحريَّة والعتق، حتَّى يستمتع بعشاء الرب.

السقوط المُتكرِّر

- **لماذا السُّقوط المتكرِّر في خطيَّة معينة؟**
- **وما هو العلاج؟**
- **وما هو موقف الله إذا حدث ذلك؟**

إن السُّقوط المُتكرِّر يحدث في حياة المؤمن نتيجة العوامل السابقة بالإضافة إلى[١١]:

١- **وجود نقطة ضعف في تكوينه.** هذه النقطة تتكشف كلما تعرَّض للتجربة أو الضغط. وهي تختلف من واحد لآخر. قد تكون في صورة غرور وعُجب، أو كذب لحماية النفس وتبريرها أو للوصول إلى هدف، أو الغَيْرَة الجسدية إذا شعر الشخص أن غيره أفضل منه، أو سرعة الانفعال، أو الشهوات الجسدية.

٢- **نتيجة أفكار خاطئة اقتنع بها الشخص ولم يناقشها مع الرَّبّ ولم يَدِنْها في محضره.** وهناك أمثلة في الكتاب ترينا أبطالاً في الإيمان حدث منهم ذلك، ولكن النعمة احتوت أخطاءهم ورُدَّت

---

[١١] د. محب نصيف.

نفوسهم. إن الفخاري الأعظم لا يفشل إطلاقًا، حتَّى لو فسد الوعاء، فإنه يعود ويعمله وعاء آخر كما حسن في عينيه أن يصنعه (إر١٨:٤). والصائغ لا يطرح الجواهر إذا علَق بها التراب، لكنه ينظفها ويلمعها وإذا استدعى الأمر، يستخدم النار لذلك (١بط١:٧)، ويستخدمها في الغرض الذي صنعت لأجله. ويجب أن نثبت في معرفة إله كل نعمة الذي يحملنا ويحتملنا بصبر وطول أناة حتَّى حين نضعف. إنه يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن. وهو يرانا دائمًا في المسيح كاملين.

هذا من ناحية، لكننا من ناحية أخرى لا يمكن أن نتجاهل الآثار السلبية للسقوط المتكرِّر، **وهذا ما سنراه في الأمثلة التالية والتي فيها سقط الشخص في ذات الغلطة أكثر من مرة، لكن ما أروع تعامل الرَّبّ مع كل منهم:**

١- **انحدر أبرام إلى مصر بسبب الجوع، ترك أبرام المذبح وارتحل نحو الجنوب** فاختل اتزانه الروحي **وحدث جوع في الأرض فانحدر بسببه إلى مصر**، وفقد الثقة في مواعيد الله، ولجأ إلى الحكمة الإنسانية لكي يحمي نفسه. فكذب وقال عن سارة: «هي أختي» لكي لا يقتلوه ولكي يكون له خير بسببها. ولكن الله تدخل رغم خطإ أبرام وأنقذ الموقف وضرب فرعون وبيته ضربات ثقيلة بسبب ساراي امرأة أبرام. فدعا أبرام ووبَّخه ثم شيَّعه هو وامرأته وكل ما كان له.

وبعد ٢٥ سنة نراه يتغرَّب في جرار **ويكرِّر الخطأ نفسه** ويكذب على أبيمالك ويقول عن سارة: «هي أختي». ولكن الله

تدخل مرة أخرى لصالح إبراهيم وحذَّر أبيمالك وقال: «ها أنت مَيِّتٌ ...». وقال عن إبراهيم إنه: «نَبِيٌّ، فيصلِّي لأجلك فتحيا». ورغم هذا الفشل من جانب إبراهيم لكننا نقرأ في الأصحاح التالي مباشرة أن الله «افتقد سارة كما قال، وفعل لسارة كما تكلَّم». فحبلت وولدت إسحاق. فيا لأمانة الله! (انظر تك ١٢:١١-١٣، ٢٠:١).

٢- **ذهاب لوط إلى سدوم**، واختياره لأن يعيش هناك لأنه رآها كجنَّة الرَّبّ كأرض مصر. وحدثت الحرب وسُبي هو وكل ما له. وتدخل أبرام وخاض معركة لكي ينقذه، لكنه رجع من السَّبي دون خسائر تُذْكَر، **لكنه عاد مرة أخرى** إلى المدينة الشِّريرة نفسها ولم يتعلَّم الدرس ولم يستفد من التَّجربة الأولى. فكانت النتيجة أنه خسر كل شيء وخلص كما بنار (انظر تك ١٤:٨-١٦و ١٩).

٣- **شمشون**: نزل إلى تمنة وأراد أن يأخذ زوجة من بنات الفلسطينيين. وبعد ذلك نزل إلى غزة إلى امرأة زانية. ورغم ذلك تدخل الله وأنقذه من يد الفلسطينيين. لكنه تمادى في الخطإ فأحب امرأة اسمها «دليلة» في وادي سورق. وكانت النتائج مُرَّة وكان السُّقوط عظيمًا. إذ أخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه وقيَّدوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن. وأخيرًا مات منتحرًا وسط الفلسطينيين، في ريعان شبابه (انظر قض ١٤:١-٣، قض١٦).

٤- **داود**: ذهب إلى الفلسطينيين هروبًا من شاول، لكنه وجد نفسه مُحاطًا بالأعداء. اضطر أن يُغيِّر عقله ويتظاهر بالجنون.

والرَّبّ نجَّاه دون خسائر تُذكر. لكنه عاد **وكرر الخطأ نفسه** وذهب أيضًا إلى أخيش ملك جت، قائلاً: «إني سأهلكُ يومًا ما بيد شاول، فلا شيء خيرٌ لي من أن أُفلت إلى أرض الفلسطينيين، فييأس شاول من أن يفتش عليَّ». وأقام في صقلغ ١٦ شهرًا. لكن هذه المرة تعرَّض لتأديب قاسٍ، وبكى حتَّى لم تبق له قوة للبكاء. فقد حُرقت صقلغ بالنار وسُبي كل مَنْ فيها. والشعب الذي معه قالوا برجمه. أما داود فتشدَّد بالرَّبّ إلهه. (انظر ١صم ٢١:١٠ و١١، ٢٧:١و٢، ٣٠: ١-٦).

٥- في ملوك الأول ٢٢ :٤ ذهب يهوشافاط الملك التَّقي مع أخآب الملك الشِّرير للحرب مع أنه لا يليق أن توجد شركة بين المؤمن وغير المؤمن، لكن يهوشافاط أخطأ وقال لأخآب: «مثلي مثلك. شعبي كشعبك» ونتيجة هذا الارتباط نجده في أخبار الأيام الثاني ١٨ يدخل في مأزق عندما خدعه أخآب، وكان يهوشافاط على وشك أن يُقتَل، ولكنه صرخ للرب، والرَّبّ أنقذه مع أنه كان مُخطئًا، وأرسل إليه بعد ذلك ياهو الرائي ووبَّخه على خطئه وعرف يهوشافاط أنه أخطأ. وللأسف تمر السنوات ويتعرض للموقف نفسه مع ابن أخآب الشِّرير، **ويتصرف معه بنفس طريقة الموقف القديم**، ويشترك معه في الحرب (٢مل٣: ٧).

٦- **العروس في سفر النشيد:** مرت باختبار الفتور والكسل فقالت: «في الليل على فراشي طلبت مَنْ تُحبه نفسي ... وجدني الحرس الطَّائف في المدينة ... فما جاوزتهم إلا قليلاً حتَّى وجدت مَنْ تُحبه نفسي» (نش٣: ١- ٤) **لكن هذا الفتور تكرَّر** في الأصحاح

الخامس «أنا نائمةٌ وقلبي مستيقظٌ»، لكن هذه المرة لم تعبر بسلام بل تعرَّضت للأذى والألـــم. فتقـــول: «وجـــدني الحـــرس ... ضربوني، جرحُوني، حَفظة الأسوار رفعوا إزاري عني».

فليحفظنا الرَّبّ ساهرين، ولنزد حرصًا من جهة النقاط الضعيفة عندنا. ولندين كل فكرة خاطئة لا تتفق مع فكر الله. وبذلك نتجنـــب المتاعـــب والخسائر والتأديب.

سؤال : ماذا أفعل عندما يتكرر الخطا في حياتي مرات عديدة؟

الإجابة [١٢]:

أولاً: عليَّ أن لا أفشل من رحمة الله: «أما رحمتي فلا أنزعها عنه، ولا أكذب من جهة أمانتي» (مز٨٩: ٣٣)، إن كنا قد تمتعنا بخلاصه في الصليب، فدعونا نتمتع برعايته لنا وسط الطريق.

ثانيًا: أُبغض الخطأ بذهني: عليَّ أن أبحث عن رأي الكتاب وتقييمه لهذا الخطإ، فمثلاً عندما أقرأ عن رأي الكتاب في الكذب في أفسس ٤: ٢٥ «لذلك اطرحوا عنكم الكذب ... لأننا بعضنا أعضاءُ البعض». **إذًا مَنْ يكذب على أخيه كأنه يحاول أن يُشوِّه الجسد الواحد**، والكذب يعني ليس مجرد الكذب فقط، بل أيضًا عدم قول الحقيقة كاملة والمُبالغة والنميمة، وبذلك أُدرك أن الكذب شيء رديء جدًا.

وعندما نقرأ في يوحنا ٤٤:٨ عن الشيطان أنه كذاب وأبو الكذاب،

---

[١٢] أجاب عن السؤال بطرس نبيل.

وعندما نقرأ عن حنانيَّا وسَفِّيرَة في أعمال الرُّسُل ٥، ندرك مدى غضب الرَّبّ على الكذب. وفي رؤيا ٢٢:١٥ نجد خارج المدينة السماوية الكذَّابين، وبذلك نعرف رأي الكتاب في الكذب فنُبغضه بأذهاننا.

ثالثًا: أُبغض الخطأ بقلبي: أستطيع أن أُبغض الخطأ بقلبي بالجلوس أمام الرَّبّ والتذلل أمامه والجهاد في قراءة الكتاب لتنتقل لقلبي ذات الحالة التي اقتنعت بها بذهني. فالرَّبّ لا يريدنا أن نعتذر له عند الخطإ فقط، ولكن أن نفهم ماذا يقول الكتاب، ونكره بقلوبنا وعقولنا الخطيَّة لكي لا نعود إليها.

«يا مُحبِّي الرب، أبغضوا الشَّرَّ» (مز ٩٧: ١٠).

«أحببت البرَّ وأبغضت الإثمَ» (مز ٤٥: ٧).

السقوط المُتكرِّر
وسن المراهقة

[١٣]أكثر فترات السُّقوط المتكرِّر والشعور بالهزيمة هو سن المراهقة، لأن إرادة التحدي في هذه الفترة تكون قوية وعنيفة، لذلك تكون الهزيمة مُرَّة جدًا.

ولأن هذه المرحلة أهم ما يميِّزها هو النمو الجنسي، وظهور الرغبات المتجهة للجنس الآخر، والتي تأخذ شكل الشهوة، لذلك فإن السُّقوط والهزيمة غالبًا ما يكونان من هذه النوعية من الخطايا سواء بالفكر أو بالفعل.

ويقابل ذلك صراع الشخص ضد هذه الميول والأفكار لمحاولة القضاء عليها. وغالبًا ما ينتهي هذا الصراع بنصرة الشهوة الداخلية، وهزيمة المؤمن، الذي يكون مُخْلِصًا في دوافعه لإرضاء الرب.

---

[١٣] المجلد الأول لمجلة نحو الهدف- عدد ٦ ص١٨- د. عصام عزت.

أسباب السُّقوط المتكرِّر في سن المراهقة:

هناك دروس روحية سنناقشها بعد قليل، لكن هناك أسبابًا نفسية غير متوقفة على المستوي الروحي أهمها:

١- جهاز عصبي حاد:

يكون ردّ فعل صاحبه مع المُثيرات الخارجية والميول الداخلية سريعًا، ويزداد ردّ الفعل بزيادة حدة الجهاز العصبي. وصاحبه لا يستطيع أن يتحكَّم في نفسه بسهولة فيتجاوب مع هذه المُثيرات أكثر وأسرع من الشخص الذي يكون جهازه العصبي هادئًا. كذلك يكون رفضه لهذه الميول وصراعه ضدها بطريقة عصبية. فتكثر مشغوليته بهذا الجو سواء بالتجاوب أو بالرفض، مما يؤدي إلى تكرار السُّقوط والهزيمة وزيادة حدة الصراع. وطبعًا ليس بالضرورة أن يكون الشخص العصبي الشديد الصراع أقل روحانية من الشخص الهادئ الطباع والأقل صراعًا.

٢- إرادة التحدي العنيفة داخل الشاب:

هناك بعض الناس، مؤمنون أو غير مؤمنين، تكون إرادة التحدي عندهم عنيفة، وبالتالي استسلامهم وتسليمهم بعجزهم يكون صعبًا جدًا. والمؤمنون منهم يأخذون وقتًا أطول تحت وطأة الهزيمة، وتكون تدريباتهم عنيفة حتى يصلوا إلى معرفة ذواتهم. كما أن هناك ثقة ذاتية فطرية في كيان كل إنسان، صعب انتزاعها، لأنها تقترن بعنصر المحاولة المتأصل في الإنسان.

٣- فراغ نفسي عميق:

إن الأشخاص الذين عندهم اتساع في دائرة الفكر والإحساس، ولم يحصلوا بعد على الغرض الذي يملأ هذا الفراغ العميق، ولو أضفنا لذلك

أن نقطة ضعفهم الرئيسية هي الفراغ الجنسي، هؤلاء يقيناً سيعانون أكثر من غيرهم في هذه الناحية.

أهم الدروس التي يمكن الخروج بها من الهزيمة المتكرِّرة:

١- معرفة المؤمن لنفسه بكيفية اختبارية:

معرفة الشاب المؤمن لنفسه غالبًا ما تكون خاطئة. وصعب جدًا أن يقتنع الشاب بحقيقة ما فيه سواء من عجز أو من رداءة.

أ- **معرفة المؤمن لعجزه:** الله في نعمته لا يترك الشاب لثقته الكبيرة في نفسه؛ وهو يظن أنه لا بد أن ينتصر في النهاية، لأنه لا يعرف حجم عجزه.

ولكن الله يستخدم الهزيمة لكي يُرِي الشاب أنه مغلوب ومُرغَم علي أن يفعل الخطيَّة «لست أفعل الصالح الذي أُريده، بل الشَّرّ الذي لست أُريده فإيَّاه أفعل» (رو٧: ١٩). ولكنه يستمر يحاول، وفي كل مرة يحاول فيها يجد الشَّرّ حاضرًا عنده. ويظل بين المحاولة والهزيمة، إلى أن يفقد الأمل في كل إمكانية في داخله، فيصرخ في النهاية طالبًا النجدة من خارجه: «مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو٧: ٢٤). وقبل استسلامه لا يكون قد أدرك عجزه، ولحظة استسلامه هي بداية طريق البركة في حياته.

ب- **معرفة المؤمن لحجم الفساد الذي في داخله:** الله يستخدم هذه المرحلة ليُعلِّم الشاب أن الجسد (الطبيعة القديمة) لم يخرج منه بعد الإيمان، كما أن الجسد لم ولن يتغيَّر أو يتحسَّن، بل

سيظل موجودًا بكل فساده. فمع الهزيمة يصرح المؤمن: «ولكني أرى ناموسًا (قانونًا) آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني (أي ما تريده الطبيعة الجديدة)، ويَسبيني إلى ناموس الخطيَّة الكائن في أعضائي» (رو٧: ٢٣). ولأن الشاب بالطبيعة يمتلئ بالأفكار الحسنة عن نفسه، وصعب عليه أن يقتنع بأنه كله رديء، فالله يظل يعمل في المؤمن حتَّى يقرر: «فإني أعلم أنه ليس ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالحٌ» (رو٧: ١٨).

٢- التخلص من مبدأ الناموس:

مبدأ الناموس هو أن الشاب يعتبر نفسه مسؤولاً أمام الله أن يُرضيَه بمجهوداته، وهذا يفترض وجود قوة لتنفيذ ذلك. بتكرار الهزيمة يكتشف الشاب أن وضع نفسه تحت وصايا مُعيَّنة يُلزم نفسه بها وهذا لا ينشأ عنه سوى نُصرة الخطيَّة وهزيمته هو، كقول الرسول: «ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيَّة، فَمُتُّ أنا» (رو٧: ٩). وكذلك يكتشف أنه كلما قطع تعهدات أكثر علي نفسه كلما زادت قوة الشهوة داخله. «ولكن الخطيَّة وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فيَّ كل شهوة» (رو٧: ٨). هذه الاكتشافات كلما تعمقت في داخل الشاب فهي ستقوده إلى أن لا يضع على نفسه تعهدًا آخر مُطلقًا، ويقرِّر أنه فاشل حتَّى أمام أصغر العهود وأبسطها.

٣- معرفة النعمة التي في قلب الله:

في البداية يقيس الشاب محبة الرَّبّ له، على حالته العملية، والشيطان يستخدم الهزيمة ليشككه في محبة الله، فيظن أن الرَّبّ يحبه أكثر ويقف

في صفه لو كان في حالة روحية جيدة، ولكن ستقل محبة الـرَّبّ لـه، وسيكشر الرَّبّ في وجهه إذا انخفضت حالته الروحية.

لكن الرَّبّ لن يَكِلَّ، مُستخدمًا جو الهزيمة، ليعمِّق في قلب الشاب إدراك أن الله يُحبه جدًا وفي صفه دائمًا رغم كل ما هو عليه، ليُعلِّمه قيمة القول: «يسوع ... إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المُنتهى» (يو١٣: ١). أي أن محبته تصل إلي أقصاها ومُنتهاها حتى تعالج ما قد يصل إليه المؤمن من ضعف أو فشل أو سقوط أو هزيمة. هو يحتمله في كل هذا وإلى هناك تصل محبته لتنتشله.

كيف أتعامل مع نفسي في حالة الهزيمة والسُّقوط المتكرِّر:

لا بد من معرفة أن أكثر الاختبارات مرارة يخرج منها أفضل الدروس الرُّوحيَّة «من الآكل خرج أُكلٌ، ومن الجافي خرجت حلاوةٌ» (قض١٤:١٤). والله أحيانًا في نعمته يتركني لفترة محدودة، هو الذي يحددها، في مُعاناة الهزيمة، مع كل إخلاصي ومحاولاتي، ليعلِّمني دروسًا هامة، يحفرها عميقًا في نفسي، وليضعني علي الطريق الصحيح للبركة الروحية.

عندما يفهم الشاب المؤمن طبيعة هذه المرحلة هذا يجعله يتعامل مع الرَّبّ بطريقة صحيحة مختلفة عن الماضي، لذلك:

١- لا تستسلم لهذا الوضع باعتباره أمرًا طبيعيًا، وإلا فلن تستفيد من هذه المرحلة، بل بالعكس سوف تستسلم للخطيَّة وسيضطر الله أن يؤدِّبك (كالأب المُحب) لكي يجعلك ترفض الوضع الجديد.

٢- تعلَّم أن تعود إليه فور سقوطك، بصرف النظر عن عدد مرات سقوطك أو نوعية الخطيَّة التي سقطت فيها، واثقًا أنه سوف يقبلك

لأنه لا يزال يحبك، وأي فكر يشجعك علي التأخير في العودة للرب هو من الشيطان الذي يريد أن يفصلك عنه.

٣- وأنت جالس أمامه، لا تُكثر الحديث عن حالتك، وتنشغل بنفسك، فهو يعلم ما صنعته. فانتقل بفكرك سريعًا إلى محبته ونعمته اللتان سوف تظلان تحتملانك، وأنه سوف يظل في صفك مهما يكون ما وصلت إليه.

٤- لا تقطع على نفسك عهودًا أمامه، واعلم أنك ستنهزم مع كل عهد تأخذه على نفسك. بل كُنْ في انتظار أن ينقذك هو بنفسه مما أنت فيه. فقط عليك أن تظل ملتصقًا به لأنه لا رجاء لك إلا فيه.

٥- تعلَّم أن القداسة التي ترغبها هي طريق تسلكه، وليست هدفًا تسعي إليه فالله دعانا «في القداسة» (١تس ٤: ٧). والمبدأ النفسي البسيط هو أنني أتطبع بالشيء تلقائيًا كلما اندمجت فيه أكثر بفكري وعواطفي. فالقداسة تتحقق في حياتي كلما فكرت أكثر في المسيح وانشغلت به. والقداسة تقل كلما قلَّت مشغوليتي بالمسيح حتى لو انشغلت بالقداسة نفسها.

الشعور بالذَّنب

[١٤]لقد أوجد الله حلاً لأكبر مشكلة كانت تؤرق حياتنا وتقلق ضمائرنا, ألا وهى مشكلة خطايانا. فبموت ابنه على الصليب وسفك دمه الكريم أوجد علاجًا شاملاً وكاملاً لهذه المشكلة, وبالإيمان بشخص المسيح وعمله وقبوله في القلب, أعطى – بل وملأ – القلب سلامًا واطمئنانًا، وشفاءً للضمير المُتعب.

وهل يا ترى يوجد أعظم وأفضل من أن يتأكد الإنسان من أن خطاياه التي تسبب له الأرق والخوف من الله ومن الدينونة قد غفرت وأنه أصبح فى سلام مع الله، وأنه ليس عليه شيء من الدينونة؟ (رو٥:١؛ ٨:١).

عزيزي القارئ ...

لو أمامنا شخص محكوم عليه بالإعدام ونُريد إرسال البهجة والطمأنينة إلى قلبه، هل نقول له: لقد ابتعنا لك سيارة ونعدك بشقة تتزوج فيها, كما أننا وضعنا في حسابك آلاف الدولارات؟ هل يُنشئ ذلك فرحًا في قلبه؟!

لكن ما رأيك لو كان الحُكم بالبراءة هو نصيبه، أ ليس هذا أفضل من

---

[١٤] بقلم د حليم حسب الله حتى صفحة ٦٢.

كل ما سبق؟ «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه»؟ (مر٨:٣٦).

هكذا صار الأمر معنا: فلا قيمة لكل ما تراه العين في العالم من مُغريات دون التمتع بالمسيح وغفرانه لخطايانا ولا راحة للضمير المُتعب إلا في المسيح المُخلِّص.

في الأيام الأخيرة، وبصفة خاصة في هذا العصر ازداد الإنسان في فجوره وإثمه لعله يُشبع جوعه ويملأ فراغه, فأخذت الخطيَّة الصورة العلنية وبدون حياء.

ففي كثير من الدول المتحضرة ترى الشَّرّ الفاضح علنًا ولا يوجد مَنْ يُقاومه، بل إن مَنْ يقاومه قد يتعرَّض للمُساءلة لأنه تدخَّل فيما لا يخصه وانتهك حرية الآخرين.

ومما يؤسف عليه أن الكثير من الناس ارتسمت على وجوههم علامات البؤس واليأس, وآخرون يندبون حظهم وهم ساخطون على الحياة ...

يا ترى لماذا هذا كله؟!

الجواب هو :

لأن ضمائرهم تشتكي في داخلهم، بل تهيج عليهم وهم يحاولون الهرب منها، لكن أين المناص؟! شعور مستمر بعدم الرضا على النفس الأمر الذي يقود أحيانًا إلى الانتحار وخاصة بين الشباب.

ذات مرة قادني الرَّبّ لزيارة مؤمن أغوته الخطيَّة وسقط فيها، ومن كثرة الإحساس بالذنب والخيانة بعد أن صلَّينا، ألقى بنفسه على الأرض

صارخًا وبدموع كثيرة قائلاً: ''خذ نفسي يا رب، أريد الموت الآن يا رب''!! وإذا أمعنَّا التأمل، سنجد أن أغلب الناس يعانون من هذه المشكلة، لأنه لا يوجد بينهم من هو كامل.

لذلك نتناول معًا في هذا الفصل الحديث عن:

الشعور بالذنب

الشعور بالذنب هو الإحساس الداخلي باللوم المستمر، وعدم الرضا على النفس بسبب صدور خطإ ما، حتَّى ولو كان بسيطًا، وشكوى الضمير مع الإحساس بالتقصير في عمل ما يجب عمله. هذا الشعور فيه ما هو حسن وما هو ضار، فمثلاً في كلمة الله نرى أشخاصًا قادهم الشعور بالذنب إلى **الانتحار** والتخلص من حياتهم: مثل يهوذا الإسخريوطى الذي بعد أن باع سيِّده بثلاثين من الفضة وأسلمه ليصلب، قال: «قد أخطأت إذ سلَّمت دمًا بريئًا ... ثم مضى وخنق نفسه» (مت٢٧:٣).

وآخرون قادهم الشعور بالذنب إلى **الهروب من الله** مثل أبوينا، آدم وحواء، اللذين بعد أن خالفا قول الرَّبّ ووصيته وأكلا من الشجرة المنهي عنها اختبئا وسط الأشجار (تك٣:٨).

وآخرون قادهم هذا الشعور إلى **ترك محضر الله** مثل قايين الذي قتل هابيل أخاه ثم قال: «ذنبي[١٥] أعظم من أن يُحْتَمل» (تك٤:١٣).

وآخرون قادهم الشعور بالذنب إلى **التوبة الحقيقية**، فبطرس بعد أن أنكر الرَّبّ ثم نظر إليه يسوع نظرة الحب لرد نفسه يقول الكتاب عنه:

---

[١٥] أي عقوبتي My punishment

«فخرج خارجًا وبكى بكاءً مرًا» (لو٢٢:٦٢). والمرأة الخاطئة التي أتت إلى الرَّبّ يسوع وهو في بيت سمعان الفريسي، غسلت قدميه بالدموع، وإن لم يُذْكَر عنها أنها تكلَّمت ولا كلمة واحدة، لكن دموعها عبَّرت عن ما في داخلها من شعور بالذنب بسبب خطاياها (لو٧: ٣٧،٣٨). وعندما حلَّ الروح القدس في يوم الخمسين وسمع الحاضرون للعيد في أورشليم ما تكلَّم به الروح القدس على فم الرسول بطرس, يُذْكَر عنهم أنهم «نُخسوا في قلوبهم، وقالوا: ... ماذا نصنع؟» (أع٢:٣٧). لقد قاد هذا الشعور أُولئك إلى التوبة والرجوع إلى الرَّبّ والإيمان به والحصول على الغفران وراحة الضمير المُعذَّب.

أسباب الشعور بالذنب:

لا يوجد مرض بدون سبب، ولا يوجد تعب في الحياة من تلقاء ذاته، لكن لكل شيء سبب، فالشعور بالذنب له أسباب كثيرة نذكر البعض منها:

١- عدم المعرفة أو قلة الإدراك الروحي لفهم كفاية عمل المسيح الكفَّاري في الخلاص وقيمة وفاعلية دمه الكريم.

٢- عدم إدراك نعمة الله المُطلقة والمجانية وغفرانه الكامل غير المشروط.

٣- تكرار السُّقوط في الخطيَّة مع عدم المقدرة على التخلُّص منها مما يُرسل وخزات مستمرة إلى الضمير فيثقله.

٤- التعاليم الخاطئة مثل هلاك المؤمن إذا ضعف، الأمر الذي يجعل المؤمن في حالة من الخوف المستمر والشعور الدائم بالذنب وعدم الرضا على النفس.

٥- رواسب التربية في الطفولة مثل التأنيب والتوبيخ على كل خطإ دون تقديم العلاج، وكثرة النقد الهدَّام مع عدم التشجيع على النمو والتقدم الروحي.

٦- عدم التمييز بين الإيمان والشعور. إن جزءًا كبيرًا من أسباب الشعور بالذنب هو الظن بأنه يجب على الإنسان أن يعيش في نشوة عاطفية بعد اختبار الولادة الجديدة. ليس المهم في خلاصنا ما نشعر به أو لا نشعر، ولكن المهم هو ما نؤمن به، فالإيمان الحقيقي لا يُبنى على الشعور بل على صدق أقوال الله «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسانٍ فيندم...» (عد٢٣: ١٩). قال الرسول بولس: «لأنني عالمٌ بمَنْ آمنتُ» (٢تي١:١٢).

٧- الاستعباد للغضب المستمر.

٨- الاستعداد الشخصي والميل للرثاء للنفس باستمرار، الأمر الذي يعطي فرصة للشيطان ليشجع على هذا الشعور بل ويزيده ويُكثر من روح الفشل.

٩- المعرفة الخاطئة عن الله والصور المُشوَّهة عنه، مثل:

- الإله **الصارم** صاحب الأوامر والنواهي التي يُحاسب الإنسان بسبب الخطية مُحاسبة دقيقة ويُعاقب ويُؤدِّب بأغلظ العقوبات، دون أن يمد له يد العون.
- الإله **البعيد** جدًا والذي لا يبالي بالبشر. لقد قالت صهيون قديمًا هذا القول: «قد تركني الرب، وسيِّدي نسيني» (إش٤٩:١٤).
- إله **المحبة المشروطة** الذي لا يستطيع أن يمنح حبه إن لم

ندفع له ثمناً لذلك.

١١- ضمير ذو حساسية زائدة ومريضة، فقد يشعر الشخص بالذنب بسبب أمور ليست خطأ ويمتلئ باللوم اللاذع والشعور بالذنب غير محدد الأسباب وكأن هذا الشخص مظلَّل بغيمة من التقصير واللوم.

١٢- النزعة الكمالية لفعل الأشياء بمقاييس غير واقعية, والشخص الذي يعاني من هذا لا يستطيع أبدًا أن يهنأ بالرضا الداخلي عن نفسه وقد لا يتحمل أتفه الأخطاء ويمتلئ باللوم داخل نفسه وهذا ما يسمى بعقدة الكمال.

١٣- التمركز حول الذات والنظر إلى السقطات مع عدم النظر إلى المسيح.

١٤- التحليلات الخاطئة بسبب الشعور بالاكتئاب والاستماع لآراء تحليلية خاطئة للأمور النفسية.

١٥- عدم غفران الشخص لنفسه، مع أن الله غفر له.

نتائج الشعور بالذنب وأعراضه:

١- الشعور بالذنب يقود إلى **التقوقع** والانطواء والنظر بتشاؤم إلى ما في داخل أنفسنا فيجعلنا غير قادرين على العطاء لمَنْ حولنا والاهتمام بهم.

٢- يقود باستمرار إلى العودة إلى **الماضي** لكي نبكيه ونُشفق على أنفسنا فيجعل مسيرتنا في الحياة الرُّوحيَّة والعامة معوقة غير مستمتعين بالرَّبّ يسوع ولا بأفراح الروح القدس.

٣- يجعل **مشاعرنا** مكبلة غير قادرة على التعبير عما بداخلنا، مما

يجعلنا نميل للحزن أكثر من الفرح.

٤- يفتح **ثغرات** أمام إبليس وبالتالي يسهل عليه خداعنا والإيقاع بنا في هزائم متكررة.

٥- يسلب **طاقاتنا** الرُّوحيَّة مما يجعلنا غير قادرين على اتخاذ قرارات سليمة في أوقاتها الصحيحة، بل ويجعلنا نميل للهروب منها وتجنبها على قدر الإمكان.

٦- يجعل صاحبه يبحث هنا وهناك عن وسيلة للعلاج دون الاستناد على **كلمة الله** التي تُعلِّم بكفاية عمل المسيح في الغفران والخلاص وقوة دمه الكريم التي تشفي الضمير المُتعثر، مما يساعد الشخص على تعلُّم طرق خاطئة تُدمِّر الحياة أكثر.

٧- الشعور بالذنب يقود إلى **عُبوسة** الوجه وظهور علامات اليأس والحزن مرتسمة بكل صورها على وجه الشخص.

٨- الشعور بالذنب يقود إلى الإحساس **بالخوف** من أن يُترك الشخص من الآخرين أو حتَّى من الله ويكون دائم التوقع بأن الله غاضب عليه ولا بد من أن يؤدبه (نظرة تشاؤمية) مثله مثل آدم الذي أجاب الرَّبّ الإله على نداه: «سمعت صوتك في الجنة فخشيتُ، لأني عُريانٌ فاختبأتُ» (تك٣:١٠).

٩- الإحساس المغلوط بأنه **مرفوض** من الكل وغير مرغوب فيه وغير محبوب من الآخرين لتصوره أن كل الذين حوله يعرفون أخطاءه، هذا بجوار الإحساس المستمر بالفشل والإحباط المستمر.

١٠- الميل **للانتقام** من نفسه بسبب هذا الشعور، وللأسف أقول إن هناك مَنْ انتحروا بسبب ذلك الشعور، وآخرين قادهم الشعور

بالذنب إلى احتقار أنفسهم.

١١- يقود إلى الشعور **بصغر النفس** وعدم الاستحقاق للوجود في محضر الله الأمر الذي يقود الشخص للشعور بالمرارة تجاه الله والنظر إلى نفسه نظرة تحقير وتصغير.

١٢- **التوتر** الداخلي الدائم بسبب الإحساس باللوم تجاه النفس مما يؤثر على الصحة الجسدية. الشعور بالذنب يقود إلى الشعور القاتل بالتقصير في أداء كل شيء مما يؤدي إلى الشعور بالقلق وإدانة الذات.

١٣- الشعور بالذنب يقود إلى **الشكوى** المستمرة من عدم الرضا عن النفس, والإحساس بعذاب الضمير. فتجد الشخص يقول: ''كان يجب أن أكون أفضل، كان يجب أن أعمل ما هو أفضل، كان يجب أن أتصرف أحسن من ذلك، كان يجب أن أخدم بأكثر إتقان ... وهكذا''.

علاج الشعور بالذنب:

لم أكن أُعير الشعور بالذنب انتباهًا في بداية خدمتي، لأنني كنت أظن أنه ما دام الشخص قد قَبِلَ الرَّبّ يسوع مُخلِّصًا له بالإيمان وسلَّم كل حياته له واثقًا في نعمته وكفاية عمله، سارت كل الأمور على ما يرام. لكن مع مرور الأيام وجدت الكثيرين يعانون وبشدة.

فواحد يعاني من ذكريات الماضي المؤلمة والتفكير المستمر في خطيَّة ما سقط فيها، ومع أنه قَبِلَ المسيح لكنها تركت في نفسه بصماتها المُرَّة مما تسبب في شكاية الضمير المستمرة.

وآخر ناموسي يدين نفسه على كل شيء. وآخر يعاني من الكمالية، أي لا يريد أن يرى في حياته خطيَّة أو تقصير.

كثيرون ممَنْ التقيت بهم وصل بهم الحال إلى الاكتئاب الذي يقود إلى البكاء المستمر. أحدهم طالب جامعي جلس معي، لا جلسة بل جلسات، وأسئلته كانت تدور حول كيف يُشفَي من الشعور المستمر بالذنب الذي يجعله لا يستطيع النوم، بل وأثر على قوة تركيزه في مذاكرة دروسه بسبب تشتت ذهنه في التفكير في نفسه والرثاء لها. وكيف أنسى تلك الشابة التي سقطت على الأرض فاقدة للوعي أثناء حديثها معي؟ ولولا تواجد أحد الشيوخ الأفاضل معي من أصحاب الخبرة في تلك الأمور، ماذا كنت سأفعل؟!

الكثير والكثير جدًا يزحم ذاكرتي وأنا أكتب الآن، لكن من الأفضل أن نتخطى الحديث لنصل إلى كيفية العلاج.

١- **الثقة في نعمة الله:** كلمة النعمة تعني العطية المجانية المُطلقة غير المحدودة وغير المشروطة بلا أي مقابل ولا أي انتظار لرد أو مكافأة، ودون اعتبار لشخصية المنُعَم عليه أو استحقاقه.

القارئ العزيز ...

إن كان الإنسان يستحق شيئًا فإنه لا يستحق سوى الغضب الإلهي والعذاب الأبدي، لكن نعمة الله هبة لمَنْ يُمْسِك بها ويقبلها ويتمتع بها، إنها نعمة الآب السماوي لابن ضلَّ بعيدًا فعاش الجوع والاحتياج والحرمان من كل شيء حتَّى من حنان أمه ومحبة أبيه، إنها نعمة الله التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع (٢تي١:٩ و١٠)، **النعمة** التي ليس فقط نقبلها بل أيضا نُقيم فيها (رو٥:٢). **النعمة** التي فوق أنها تستردنا إلى الله أبينا

وإلى شركتنا معه وتسترد كرامتنا, هي أيضًا من خلالها ننسى الماضي وكل جراحه ومآسيه، إنها **النعمة** التي لنا من الله أبينا في المسيح الفادي الذي دفع الثمن كاملاً في الصليب. لذلك يقول الروح القدس: «متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو٣:٢٤), وقال أيضًا: «لأنكم بالنعمة مُخلَّصُون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحدٌ» (أف٢:٨ و٩).

لذلك يجب أن يكون عند المؤمن إدراك عميق لمفهوم النعمة التي لا تطالب الإنسان بأن يقوم بشيء لكي ينالها، بل هي قبول الله للإنسان كما هو «ولكن الكل من الله» (٢كو٥:١٨)، «الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانًا مع المسيح – بالنعمة أنتم مُخلَّصُون – وأقامنا معه وأجلسنا معه في السَّماويَّات في المسيح يسوع، ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع» (أف٢: ٤–٧).

٢– التمسُّك بمحبة الله، المحبة التي بلا حدود, والغير مشروطة والتي جعلت الله يدفع فينا أعظم ثمن, فبمقدار ما دفع فينا من ثمن هكذا صارت قيمتنا, لقد أصبحنا ذَوِي قيمة كبيرة في عينيه، (١كو٦:١٩ و٢٠). لنلاحظ القول الرائع: «ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خُطاةٌ مات المسيح لأجلنا» (رو٥:٨) و«انظروا أيَّة محبة أعطانا الآب حتَّى نُدعَى أولاد الله» (١يو٣:١) و«لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي ... إذْ صرتَ عزيزًا في عيني مُكرَّمًا، وأنا قد أحببتك» (إش٤٣:١ و٤).

عزيزي القارئ ...

دعنا نتأمل، بل ونُكثر التأمل في محبة الرَّبّ لنا، المحبة الثابتة من نحونا، المحبة التي لا تزول ولا تنقص، فالرَّبّ في محبته لا يحتقرنا في ضعفنا بل يرثي لنا, وفي محبته مستعد أن يُعيننا، لذلك لا تفشل بل ثق في محبته.

٣- يجب أن تتولد فينا معرفة صحيحة عن الله ... بأنه أعظم وأصدق مصدر يساعدنا على أن نُكَوِّنَ صورة ذاتية سليمة. عندما انتقد الفريسيون المسيح في محبته للعشَّارين والخطاة شبه نفسه بالراعي الذي لأجل خروفه الضالّ يترك التسعة والتسعين حتَّى يجده، وقال إنه يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب (لو١٥: ٣-٧).

تأمل الرَّبّ يسوع لتجد الحب الذي يغذيك، وعظمة المجد الذي يشجعك ويقويك.

جاء عنه في نبوة إشعياء «روح السيِّد الرَّبّ عليَّ، لأن الرَّبّ مَسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب مُنكسري القلب، لأُنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق» (إش٦١:١ و٢).

نعم لقد جاء ليحررنا من سلطان الخطيَّة وعقوبتها، ولكي يكسر كل القيود التي أحاطت بأنفسنا ومشاعرنا وشخصياتنا من جرَّاء وجودنا في عالم فاسد ساقط. إذ أنه قادر على أن يُحيي الروح ويُحرر النفس أيضًا.

إن الله يريد، لا أن يرانا أصحاء روحيًا فقط، بل أيضًا أصحاء نفسيًا مُحَرَّرين من كل جراح الماضي وآثار الخطيَّة التي شوَّهت نظرتنا لله ولأنفسنا وللآخرين وللحياة كلها.

لا يفوتنا أن نذكر أنه في داخل قلب كل واحد منا صورة ذهنية عن الله اشتركت في تكوينها التعاليم التي تعلَّمها والاختبارات التي اجتاز فيها في الحياة والذكريات التي حفرتها تلك الاختبارات فيه. لكن إذا أردنا أن نعرف الله معرفة صحيحة فيجب أن نرجع إلى الكتاب المقدس الذي يعلن لنا أن الله صالح وإلى الأبد رحمته (مز١٣٦:١)، وأنه إله كل نعمة (١بط٥:١٠)، المُحب للجنس البشري (يو٣:١٦)، والمانح والمُعطي بسخاء ولا يُعيِّرنا ولا يندم عندما يعطينا (يع١:٥، رو١١:٢٩، مت٧:١١)، الصديق والرفيق والمُرشد في الطريق (مز٣٢:٨)، الرحيم والغفور (مز١٠٣: ٢- ٥)، والآب السماوي (٢كو٦:٨؛ ١يو٣:١)، والراعي (مز٢٣:١؛ يو١٠:١١)، والحافظ والحارس (مز٩١:٤، ١٢١:٣)، الحنَّان والعطوف علينا (لو٧: ١٣-١٥)، والقدير (تك١٧:١)، والأمين (٢تي٢:١٣)، وغير المتغيِّر (مز١٠٢:٢٦؛ يع١:١٧).

إن أيَّة معرفة غير تلك وأية ثقة في إله غير هذا هي أمور بها يُسئ الإنسان إلى نفسه ولن يتم علاجه إن لم تُستبدل صورة الله المشوَّهة في الذهن بالمعرفة الحقيقية بالله وعنه.

٤- يجب أن تعرف قوة دم المسيح ... إن الله الذي أحبنا وهبنا ابنه الذي بذله لأجلنا على الصليب، الذي سفك دمه الكريم للتكفير عن خطايانا. إذًا لو عرفنا قيمة الدم وقوَّته وفاعليته الأبدية لامتلأ القلب بالسلام الإلهي حتَّى ولو ضعفنا، هذا الدم الذي به تغفر خطايانا (عب٩:٢٢، أف٢:٧)، وبه نتبرَّر (رو٥:٩)، ونتطهَّر (١يو١:٧)، ومن خلاله نتصالح مع الله، وبه نقترب إلى الله (أف٢:١٣)، ونتقدَّس (عب١٣:١٢)، ويتم اغتسالنا (رؤ١:٥)،

ويصير لنا ثقة الدخول إلى الأقداس (عب١٠:١٩)، وهو ثمن فدائنا الأبدي (عب٩:١٢)، وثمن شرائنا (رؤ٥:٩)، وبه يكفِّر عن خطايانا (رو٣: ٢٤و٢٥؛ لا ١٧:١١)، وبه ننجو من الهلاك والغضب (خر١٢:١٣)، وبه نغلب أعداءنا (رؤ١٢:١١).

فبمقدار معرفتك بقيمة دم المسيح بمقدار ما تكون لديك حجة تواجه بها المُشتكي، نعم: خطايانا مَحَاها الدم!

٥- يجب أن ندرك أن الله منحنا الروح القدس ... الذي سكن فينا ولا ينزعه أحد منا، الذي يُنير عيون أذهاننا ويُشرق في قلوبنا من خلال الكلمة المقدَّسة ويأخذ مِمَّا للمسيح ويُخبرنا, بل ويحررنا من الأفكار الخاطئة والمشوَّهة عن الله بل ويملأ أذهاننا بمعرفة كل الصلاح الإلهي.

٦- تجديد الذهن ... أي التحرر من فكر العالم ونظامه والمنطق الذي يعيش به, والخضوع لفكر المسيح وبالتالي إعادة بناء المفاهيم طبقًا لنور الإنجيل.

٧- يجب أن نتعامل مع الغضب بأن لا نبقيه في أعماقنا ... حتَّى لا يقودنا للخطإ بالقول أو بالفعل ولكي لا نعطي إبليس مكانًا عندما يريد أن يُحوِّل الغضب إلى كراهية ومرارة، ويزيد من شعورنا بالذنب ليحطِّم أنفسنا.

٨- يجب أن يدرك المؤمن مركزه الثابت في المسيح ... وقبول الله له قبولاً كاملاً في المسيح، بل ويدرك نظرة الله الجديدة له من خلال المسيح «قدِّيس وبلا لوم» (أف١:٤؛ كو١:١ و٢٢).

٩- الإدراك لغفران الله في معانيه الصحيحة ... «إن الله كان في

المسيح مصالحًا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو٥:١٩)، «الذي لنا فيه الفداء بدمه، غُفران الخطايا» (كو١:١٤). لذلك يقول الرسول يوحنا للمؤمنين: «... قد غُفرت لكم الخطايا من أجل اسمه» (١يو٢:١٢). ويقول: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتَّى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثمٍ» (١يو١:٨). والغفران كأن الله يطرح جميع الخطايا وراء ظهره؛ أي لا يعود يراها أبدًا (إش٣٨:١٧) ويمحوها تمامًا كما تُمحَى السحابة (إش٤٣:٢٥، ٤٤:٢٢) وهذا عن طريق دم المسيح. كما يعني بوضوح طرح جميع الخطايا في أعماق البحر (مي٧:١٩)، ويبعدها عنا كبُعد المشرق من المغرب (مز١٠٣:١٢)، ولا يعود يذكرها في ما بعد (عب١٠:١٧؛ إش٤٣:٢٥).

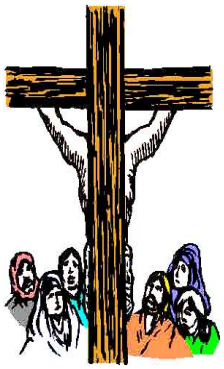

كما نرجو أن نلاحظ أن الغفران مبني على عمل المسيح الكامل على الصليب وسفك دمه الكريم.

كما أنه يُعطَى للإنسان مجانًا ولا يتطلب سوى التوبة الصادقة.

غفران لا يتطلب أعمالاً صالحة لنواله لأن المسيح دفع الثمن كاملاً على الصليب فما عليك إلا قبوله بالإيمان.

١٠- يجب أن نتعلَّم المُسامحة والغفران للآخرين ... يجب أن نترك من قلوبنا زلاَّت الآخرين ولا نحمل أي موقف عدائي ضدهم، بل كما غفر المسيح لنا هكذا ينبغي أن نغفر نحن أيضًا لمَنْ

أساء إلينا بل ونُصلِّي لأجلهم أيضًا (مت٥:٤٤).

١١- تعلَّم أن تُسامح نفسك, بمعنى آخر اغفر لنفسك كما غفر لك المسيح وسامحك, حتَّى تتحرر من شكاية الضمير الداخلية.

١٢- ترك الماضي ... بل وهجره وعدم التفكير فيه سواء خيرًا كان أم شرًا، وليكن شعارك «إذ أنا أنسى[١٦] ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدَّام» (في٣:١٣)

١٣- لا تفكر ولا تنشغل كثيرًا بذاتك بل املأ أفكارك بالإيجابيات أي بمحبة الله وعمل المسيح والبركات التي لك منه وفيه ولتكن باستمرار ناظرًا إلى المسيح.

١٤- ليكن لك شركة قوية مع الرب, ولتكن شخصًا ذا كتاب مقدَّس مفتوح, وركبتين تعلَّمتا الانحناء. ولتمتلئ حياتك بالشكر في كل شيء فهذا يقودك إلى الملء بالروح القدس الذي يُحرِّرك من كل قيود الجسد «بالروح تميتون أعمال الجسد» (رو٨:١٣)، «اسلكوا بالروح فلا تُكمِّلوا شهوة الجسد» (غلا٥:١٦) لذلك يقول: «امتلئوا بالروح» (أف٥:١٨) ولاحظ أن الروح القدس يُعين ضعفاتنا (رو٨:٢٦).

١٥- تجنب عمل المقارنات بينك وبين الآخرين وخاصة في الأمور الرُّوحيَّة واعلم (وهذا أمر مهم جدًا) أن لنا رئيس كهنة عظيم ورحيم جالس في السماء لحسابنا «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم ... لأن ليس لنا رئيس كهنةٍ غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل

---

[١٦] ولأن هذه الآية هي جملة اعتراضية (أي تستقيم الجملة بدونها) فهي توحي لنا بأن النسيان هنا غير مقصود، لكن وجود غرض عظيم يسعى الشخص نحوه، هذا الغرض يجعله ينسى ما هو وراء!

مُجرَّب في كل شيءٍ مثلنا، بلا خطيـــة» (عـــب٤:١٤) لـــذلك «لنتقدَّم بثقة إلى عرشِ النعمة لكي ننالَ رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه» (عب٤:١٦).

١٦- قاوم إبليس بالإيمان رافضًا كل تشكيكه وكذبه, مُتقويًا بـــالرَّبّ وفي شدة قوته واثقًا في محبته وغنى نعمته وقوة دمه. «تَقَوَّوْا في الرَّبّ وفي شدة قوَّته ... حاملين فوق الكل تُرس الإيمـــان، الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشِّرير الملتهبـــة» (أف ٦:١٠ و١٦). تُرس الإيمان هو التمسُّك بمواعيد الله الصادقة من جهة محبته لنا, ويحمينا من الأفكار الهدَّامة التي يُـــصوِّبها إبليس نحونا، فهو لن يكف عن مهاجمتنا وزرع روح الفشل في داخلنا مستندًا على أخطائنا التي نقع فيها. ويعمل جاهدًا علـــى تشكيكنا في محبة الله, والإقلال من عمل المسيح تجاه ما يصدر منا من أخطاء.

لذلك لا تخشى شكوى إبليس عالمًا أنه من لحظـــة قبولـــك للمـــسيح واحتمائك في دمه الكريم، سامحك الله على جميع خطاياك (كـــو٢:١٣) وطهَّرك منها تمامًا على أساس هذا الدم الكريم (١يـــو١: ٧). لـــذلك لا تستسلم بل قاوم إبليس بالإيمان (١بط٥:٩) فيهرب منك (يع٤:٧) مُصلِّيًا معي هذه الصلاة:

''يا رب، أعترف بأني ألومك أحيانًا، وأتهمك أحيانًا أخرى, وأخاف منك مرارًا بسبب خطايـــاي. هـــذه الأمور زرعها العدو في داخلي، ظننت وقتها أنك قد صرت ضدي ولذلك ستنتقم منى، لكنني اكتشفت أنك الآب الحنون المُحب الصالح الذي بذل ابنه الوحيـــد

بدلاً عني والذي يصفح ويغفر دائمًا. أعطني نعمة حتى أُدركَ كفاية عمل المسيح وأثق في غنى نعمتك وأعرف قوة الدم المُطهِّرة، كيما ترتفع كل الحواجز بيننا، وأعطني النور الذي فيه تفضح أكاذيب العدو الخبيثة التي زرعها في داخلي, وافتح عينيَّ لأرى وأُدركَ وأكتشفَ عظمة محبتك وعطفك، فأحبك يا رب يا قوَّتي, آمين».

الشعور بالذنب عند الشاب المؤمن

[١٧]الشعور بالذنب هو جو نفسي يعيش فيه الإنسان. ويختلف من شخص لآخر، ومن وقت لآخر. فقد يكون مجرد شعور مؤقت ينتاب الشخص بين الحين والآخر، وقد يصل إلى كونه شعورًا عامًّا يغطي أغلب أوقاته ويرافقه في كل نواحي حياته. قد يكون شعورًا بسيطًا بعدم الرضا عن النفس أو قد يصل إلى شعور عنيف يُحيط صاحبه بجو ملوث يبعث على الاكتئاب.

الشعور بالذنب كحالة نفسية يختلف عن الشعور بنتيجة خطيَّة محددة: فالخطيَّة بمجرد الاعتراف بها يحصل المؤمن على الغفران ويستعيد شركته مع الرَّبّ وبالتالي يعود إلى جو النقاء والصفاء الروحي «إن اعترفنا بخطايانا ... يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١:٩).

---

[١٧] د. عصام عزت – المجلد الأول مجلة نحو الهدف – العدد الثامن والتاسع.

بعض أسباب الشعور بالذنب:

١- **ضميرٌ شريرٌ:** هو الضمير الذي يشتكي على صاحبه دائمًا مُذكِّرًا إيَّاه بأنه ليس أهلاً للاقتراب إلى الله بسبب الشَّرّ الموجود فيه أو الشَّر الذي يفعله. فهو يبني اقترابه إلى الله على ما يشعر به في داخله. هذا الضمير هو أكثر أسباب الشعور بالذنب.

٢- **ضميرٌ ضعيفٌ:** هو الضمير الذي يجعل صاحبه يشعر بأمور هي ليست في حد ذاتها خطيَّة لكنه يعتبرها خطيَّة ويتنجَّس بها «فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجَّس» (١كو٨:٧) هذا الضمير مُنغِّص دائمًا لصاحبه لأنه يجعله يستذنب نفسه ويستذنب الآخرين.

٣- **عدم قبول الشاب لنفسه:** أحيانًا يكون الشاب غير راض عن حجمه الروحي وإمكانياته ونوعية خدمته ويتصور أنه لا يستطيع القيام بهذه الخدمة أو تلك نظرًا لأن مستواه الروحي ليس على ما يرام أو لأن صلواته قليلة أو تكريسه قليل وعدم وصوله إلى ما يتخيله أنه صحيح، يجعله يتذمَّر على نفسه ويزداد شعوره بالذنب.

٤- **كثرة مشغولية الشاب بنفسه وبمشاعره:** وتحوله عن الرَّبّ يجعله لا يمارس الإيمان بل يعيش معتمدًا على المشاعر. إن مشغوليتي بنفسي لا تجعلني أرى سوى القصور والأخطاء والهزيمة والميول الرديئة ومن ثَمَّ أشعر بالذنب.

٥- **الكبت الداخلي:** لأمور يشعر الشاب أنها خاطئة، وعدم التنفيث عن المشاكل، والمعاناة، كلها أمور تجعل العقل الباطن يمتلئ بالشعور بالمذنوبية وعدم الاستحقاق وهذا الشعور يخرج بين

الحين والآخر.

٦- **عدم التعود على الوجود الدائم في حضرة الله:** حيث النور الإلهي الكاشف للعيوب والأخطاء وفى الوقت نفسه حيث المحبة والنعمة الجاذبة لي والتي تحتملني مهما تكن نقائصي وتغطي كل عيوبي.

٧- **جهاز عصبي حاد ونشط:** يكون صاحبه عصبي المزاج وغير قادر على التحكم في نفسه في أغلب الأوقات فهو سريع الغضب، سهل الاستثارة والاستفزاز، وكلما زادت حدة جهازه العصبي زاد شعوره بالذنب.

٨- **الهزيمة المتكرِّرة.**

٩- **مبدأ الناموس والعجز عن القيام به.**

١٠- **نقاط ضعف عنيفة.**

نتائج الشعور بالذنب:

١- وجود فاصل بين الشخص وبين الرب، فيصير قليل الاقتراب من الرَّبّ، وإدراكه وإحساسه بحضور الرَّبّ ضعيف، نظرًا لشعوره بعدم الاستحقاق.

٢- استنشاق هواء مُلوث روحيًا يؤدي إلى الاكتئاب والعبوسة الدائمة أمام الآخرين لأن «القلب الفرحان يجعل الوجه طلقًا» (أم ١٣:١٥)، والعكس صحيح.

٣- احتقار الشخص لنفسه وميله إلى الانطواء وشعوره بالنقص.

٤- عدم وجود ثقة من نحو الله في استجابة الصلوات المرفوعة «إن

لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله» (١يو ٣:٢١).

٥- العدو يخدعني بالتركيز على إصلاح نفسي أولاً للتخلص من هذا الشعور ثم العودة للشركة مع الرب، ولأنني عاجز عن إصلاح نفسي وبالتالي عن التخلص من هذا الشعور، فسأظل مقطوع الشركة، وبالتالي يزداد شعوري بالذنب وهكذا أدخل في دائرة خبيثة مفرَّغة من الشركة المقطوعة والشعور بالذنب، وكلاهما يغذِّي الآخر.

علاج الشعور بالذنب:

من أهم دلائل الصحة الرُّوحيَّة هو العودة السريعة للرب بالتوبة لعلاج السُّقوط الذي حدث وبالتالي استرداد الشركة «قلت: أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت أثام خطيتي» (مز ٣٢:٥).

بعض المبادئ العامة في علاج الشعور بالذنب:

اتضح لنا مما سبق أن العيش في جو الشعور بالذنب، أمر يسرّ الشيطان، ويُحزن قلب الرب. وفهمنا أيضًا أن المؤمن في هذا الجو مُكبَّل وعاجز وخاسر لوقته وطاقته، وغير مُمارس لحريته المسيحية، بل هو مرتبك بنير العبودية (غلا ٥: ١). فلا بد إذًا من وقفة صادقة للشخص مع نفسه أمام الرَّبّ لاتخاذ قرار للتخلُّص من هذا الجو القابض. وليكن راسخًا في ذهنك أن العلاج هو بتغيير مفاهيمك أنت ومراجعة مبادئ حياتك الروحية.

وهناك بعض المبادئ العامة للعلاج:

أولاً: علاج الضمير الشرير؛ بمعنى أن يُعاد ضبط الضمير طبقًا للحق

الإلهي، فيتيقن الشخص أن أساس الاقتراب إلى الله هو الإيمان بفاعلية دم المسيح «فإذ لنا أيها الأخوة ثقةٌ بالدخول إلى الأقداس، بدم يسوع ... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشةً قلوبنا من ضمير شريرٍ ...» (عب ١٠:١٩ و٢٢).

هذا الدم هو المؤهل الوحيد الذي بموجبه تكون مقبولاً في حضرة الله. وعليه فإن حالتك العملية مهما ضعفت لا تقلل من قبولك الدائم أمامه، ومهما سمت لن تضيف شيئًا إلى أساس قبولك أمام الله. أما في حالة وجود خطيَّة محددة، فإن الاعتراف بها كاف لأن يرفع تأثيرها من علي الضمير. وذلك لأن قيمة الدم ثابتة أمام الله.

ثانيًا: تعلَّم يا صديقي أن نعمة الله أكبر من كل ما يصدر منك من أخطاء حقيقية، وأن الله مستعد أن يقبلك في أي وقت؛ فهو إله الفاشلين والمتمردين «طُوبي لمَنْ إله يعقوب (كثير الفشل) مُعينهُ» (مز ١٤٦: ٥). لذلك اذهب إليه بكل ما فيك من شعور بالذنب بالرغم من كل ما تعرف عن نفسك من مذنوبية ومن رداءة. عندئذ بدلاً من المشغولية بنفسك واستنشاقك جو المذنوبية الخانق، سوف تنشغل بالشكر لإله مُحب عنده نعمة كافية لك، وقلب متسع في أية حال وفي كل وقت وستستنشق جو النعمة بكيفية مستمرة.

ثالثًا: اقبل نفسك – اقبل شكلك وحجمك الروحي، ولا تطالب الرَّبّ بما تتصوره أنت صحيحًا، بل اتركه ليختار الشكل الذي يريده هو لك «كما حسن في عيني الفخَّاري أن يصنعه» (إر ١٨: ٤). واتركه ليصل بك هو لهذا الشكل بالطريقة التي يراها مناسبة أيضًا، اقبل جهازك العصبي، واقبل نقاط ضعفك (كما ذكرنا)، مُوقنًا أنها جزء من قصد الله في

حياتك، وهي المجالات التي سوف يستخدمها لتحقيق هذا القصد.

رابعًا: تمسَّك بشدة بأوقات شركتك مع الرَّبّ وبأوقات خلوتك به، فهذا هو المكان الوحيد الذي فيه تعالج كل الأمور بطريقة صحيحة. هذا الأمر يجعل قصد الشيطان يخيب، فبينما أراد أن يستخدم شعورك بالذنب ليفصلك عن الرب، يجدك تتخذ من شعورك بالذنب مجالاً للاحتماء فيه أكثر. في خلوتك معه تستطيع أن تفرِّغ كل ما يتعبك من أفكار لا تستطيع أن تصارح الآخرين بها وبذلك تتجنب الكبت المَرَضِي. وفي محضر الله، وأنت تدرس الكتاب، ستفهم الأفكار الصحيحة التي تغذي بها ضميرك، فبدلاً من الضمير الضعيف، تتدرَّب ليصبح لك ضمير بلا عثرة. كما أن محضر الله هو المكان الذي فيه تغسل نفسك من آثار الشعور بالذنب.

خامسًا: تعلَّم أنه حتَّى في أفضل حالاتك الروحية، وحتى بدون خطيَّة محدَّدة تشعر بها، فإنك مع ذلك لست خاليًا من العيوب «فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مُبرَّرًا. لكن الذي يحكم فيَّ هو الرب» (١كو٤: ٤). فلا تعتمد فيما بعد علي شعورك سواء كان شعورًا بالذنب أو حتَّى بالرضا عن نفسك.

سادسًا: ليكن راسخًا في قلبك أنك من الآن تُقيم في دائرة الرضا الإلهي. فالله منذ أن آمنت راضٍ عنك تماما كما يرضى عن المسيح. فأنت أمامه، مهما تكن عيوبك، أو مهما كان شعورك بالذنب، نعم، أنت أمامه في المسيح بلا لوم «... لنكون قدِّيسين وبلا لومٍ قدَّامه في المحبة» (أف١: ٤). ومشاعرك أو حالتك العملية لا يمكن أن تُخرجك خارج هذا الوضع. إن إدراكك لهذا الأمر يجعل قلبك يفيض بالشكر مرتفعًا فوق كل

مشاعرك المُتغيِّرة.

سابعًا: علاج مبدأ الناموس، وعلاج تتعلَّم به كيفية تعاملك مع نقــاط ضعفك، وعلاج جهازك العصبي، إذا كان حادًا.

إن أعظم الانتصارات أهمية، هي تلك التي تأتي عندما تكون الهزيمة هي الشيء المحتَّم حدوثه.

وأرق الترنيمات عذوبة هي تلك التي تأتي عندما يجبرنا ليل الظروف علي الاتكال علي الله.

إذا سقطتُ أَقوم[١٨]

يَحكي الكاتب الإنجليزي جورج كاتينج في كتابه: ''**نور لنفس مضطربة**'' عن فلاح كان يبحث عن السلام واليقين تجاه قبول الله له، فصلَّى في أحد الأيام وطلب من الرَّبّ أن يرى في طريقه عشر نعاج مجتمعه في حقله كعلامة على أنه حصل علي الخلاص من الدينونة وأنه لن يهلك إلي الأبد, وفي اليوم التالي عندما اقترب هذا المزارع من حقله فوجئ بعشر نعاج رابضة في حقله تحت إحدى الأشجار، تستظل من حر النهار، فاستراح من قلقه واضطرابه. ولكن سلامه لم يدم طويلا؛ فسرعان ما تبخر هذا السلام مع أول خطيَّة ارتكبها، وعاودته الشكوك. وراودته فكرة أن مُلاقاته للعشر نعاج كان بمحض الصدفة. فعاود الصلاة وطلب من الرَّبّ ثانية أن يُريَه عشر نعاج أخرى مجتمعة في مكان آخر من الحقل فتحقق ذلك له أيضًا، وعندما سُئل الفلاح: هل أعطاك هذا الأمر السلام ويقينية الخلاص، وأزال من نفسك الشكوك للأبد؟ أجاب: بالطبع كلا البتة. فهذا السلام الوقتي تبخر أيضًا مع سقوطي في الخطيَّة، ولا شيء في الوجود كله استطاع أن يعطيني اليقين بأني مقبول عند الله

---

[١٨] هذا الفصل بقلم د زكريا استاورو.

ولي حياة أبدية ولن أهلك إلي الأبد إلا عندما رجعت إلي كلمة الله الحيَّة؛ الكتاب المقدس. فالناس يقولون: إن الرجل يُمْسَك من كلامه, وهكذا أنا أيضا حصلت علي السلام الراسخ بسبب غفران الله لي عندما وثقت في وعوده لي في الكتاب المقدس.

صديقي القارئ .. صديقتي القارئة ..

ربما تكون أنت أيضًا نظير هذا الفلاح الصادق, قد صلَّيت لله من قلبك وسلَّمت حياتك للرب يسوع واعترفت لله بكل خطاياك ولكن مع كل زلَّة في الخطيَّة تشعر أنك فقدت خلاصك ويساورك الشَّك في أنك أصبحت مسيحيا حقيقيا.

سأشاركك في هذا المقال ببعض الأسئلة التي ربما تفرض نفسها عليك في بداية حياتك الرُّوحيَّة مع الرَّبّ يسوع، وسأذكر إجابة هذه الأسئلة بحسب ما جاء في الكتاب المقدس، وأرجو أن ترجع للآيات والشواهد في كتابك. فكلمة الله هي الوسيلة الأساسية والثابتة لليقين «وعندنا الكلمة النَّبويَّة، وهي أثبت، التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها، كما إلي سراجٍ منير في موضعٍ مُظلمٍ» (٢بط١:١٩).

سؤال: كيف أشعر بان الله قَبلني وأنني أصبحت من أولاد الله؟

الإجابة: ليس من المهم أن تشعر بذلك في البداية، ولكن أن تتأكد من ذلك علي أساس كلمة الله وما يقوله الكتاب المقدس بخصوص ذلك، فمكتوب: «وأما كل الذين قبلُوهُ فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو١:١٢). وبالطبع عندما تثق في الله وكلمته أكثر من ثقتك في نفسك وشعورك، ستشعر وقتها بالفرح مثل «زكَّا»

(لو ١٩:٦) و«الخصي الحبشي» (أع٨:٣٩) و«سجَّان فيلبي» (أع ١٦:٣٤).

أضف إلي ذلك التغيير الذي أجراه الله فيك «إذًا إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا» (٢كو٥:١٧).

ولا بد أنك بدأت تختبر صفات الطبيعة الجديدة (التي من الله). إذًا يجب أن أعتمد علي كلمة الله الثابتة وليس علي مشاعري المتغيِّرة. وعندما أتيقن من كلمة الله أن الله قَبِلَني لا بد أن تأتي مشاعر الفرح والسعادة؛ أي أولاً الإيمان بالكلمة، وثانيًا الفرح نتيجة لتصديق ما يقوله الله: «كتبتُ إليكم، أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياةً أبديَّةً، ولكي تُؤمنوا باسم ابن الله» (١يو٥:١٣).

ومن العلامات الأكيدة على أن الإنسان قد خلص، أنه يُحب كل المؤمنين «نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلي الحياة، لأننا نُحب الإخوة» (١يو٣:١٤).

ولا بد من شهادة الروح القدس في داخل المؤمن «والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. والثلاثة هم في الواحد. إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. مَنْ يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يُصدِّق الله، فقد جعله كاذبًا، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبديَّة، وهذه الحياة هي في ابنه. مَنْ له الابن فله الحياة، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو٥:٨-١٢)، «الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو٨:١٦).

سؤال: هل يمكن أن يسقط المسيحي الحقيقي في الخطيَّة؟

الإجابة: وإن كانت القاعدة أن المؤمن لا يُخطئ؛ بل ويجب أن يحرص على ذلك «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا» (١يو٢:١)، «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة» (٢بط١:٣)؛ إلا أنه يمكن أن يسقط المؤمن في الخطية. والكتاب المقدس يحوى سقطات كثير من المؤمنين القدِّيسين, وأدعوك أن تحفظ معي على ظهر القلب هذه الآيات التي ساعدتني كثيرًا في الثبات في المسيح في بداية حياتي مع الرب:

«إن قلنا: «إنه ليس لنا خطيَّة نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتَّى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثمٍ. إن قلنا: إننا لم نُخطئ نجعله كاذبًا، وكلمته ليست فينا ... يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا» (١يو١:٩ و٢،٢:١).

سؤال: هل يعيش المسيحي الحقيقي في الخطيَّة؟

الإجابة: كلا! فمكتوب «فماذا نقول؟ أ نبقي في الخطيَّة لكي تكثر النعمة؟ حاشا! نحن الذين مُتنا عن الخطيَّة، كيف نعيش بعد فيها؟!» (رو٦:١و٢). فالكتاب المقدس يُشبِّه المسيحي الحقيقي بالخروف (لو١٥:٦؛ يو١٠:١-٢٧)، ويُشبِّه الشِّرير البعيد عن الله بالخنزير (أم ١١:٢٢؛ مت٧:٦؛ ٢بط٢:٢٢) يجوز أن يسقط الخروف في الطين لكن من المستحيل أن يعيش فيه. أما الخنزير فهو يُحب أن يعيش في الطين حتَّى إن غسلته يرجع إليه «لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البِرِّ،

من أنهم بعدما عرفوا يرتدُّون عن الوصية المقدَّسة المُسلَّمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلبٌ قد عاد إلي قيئه، وخنزيرة مُغْتَسلةٌ إلي مَراغَة الحمأة» (٢بط٢: ٢١ و٢٢).

سؤال: لماذا لا يعيش المسيحي الحقيقي في الخطيَّة؟

الإجابة: لأن المؤمن الحقيقي يمتلك الطبيعة الجديدة (يو ٣: ٦؛ ٢كو٥: ١٧) التي بها صار شريك الطبيعة الإلهية (٢بط١: ٤). وهذه الطبيعة الجديدة تجعله لا يُحب الخطية ولا أن يعيش في الخطيَّة، لأن المولود من الله:

١- يصنع البر (١يو٢: ٢٩) ٢- لا يفعل الخطيَّة (١يو ٣: ٩)

٣- لا يستطيع أن يُخطئ (١يو٣: ٩)

٤- يُحب ويعرف الله (١يو٤: ٧) ٥- يغلب العالم (١يو٥: ٤)

٦- يحفظ نفسه (١يو٥: ١٨) ٧- الشِّرير لا يمسه (١يو٥: ١٨)

وعلى المؤمن أن يقدم للطبيعة الجديدة غذاءها، وهو ما ندعوه ''وسائط النعمة''[١٩]، وهي:

١- الصلاة ٢- قراءة ودراسة الكتاب المقدس ٣- الارتباط باجتماعات المؤمنين ٤- ترك ما يتعلق بالماضي ٥- الشهادة للمسيح والخدمة.

وعليه بالتالي أن لا يقدم للطبيعة القديمة غذاءها، وهو ما كان يعمله الشخص في بعده عن الله.

---

[١٩] نتيجة لارتباط هذه الأفعال في الكتاب المقدس بالنعمة.

سؤال: ماذا يحدث إذا سقط المسيحي الحقيقي في الخطيَّة؟

الإجابة: أ – يُحزن الروح القدس (أف٤: ٣٠).

ب– تنقطع شركته الأبوية (١يو١: ٣).

لاحظ الفرق بين الشركة، وبين العلاقة التي هي النسبة؛ أي البنويَّة: الشركة تقطع (تتعطل) مع أي خطيَّة أما البنويَّة فلن تقطع أبدًا. نُشبِّه الشركة بخيط من حرير سهل أن ينقطع مع كل خطية، أما البنويَّة فهي قضيب من حديد لا يمكن كسره؛ كعلاقة أي أب بابنه. فعندما يُخطئ الابن يقطع الأب الشركة، ولكن مستحيل أن يقتل ابنه أو يحرقه أو يلغي نسبته إليه باعتباره ابنه، هكذا مع الآب السماوي «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولادًا فإننا ورثةٌ أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٦ و١٧)). ويوحنا ١٣ يكلِّمنا عن قطع الشركة مع الابن ربنا يسوع المسيح، عندما قال الرب لبطرس [إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب] (يو ١٣: ٨) . وترجع الشركة مرة أخرى بزوال المعطل، أي بالرجوع إلى الرب والاعتراف بالخطأ. تشبَّه الشركة بسريان المياه في ماسورة أو أنبوب والذي يتعطل نتيجة الشوائب وبإزالة الشوائب يرجع سريان المياه مرة أخرى.

سؤال: ماذا يفعل المسيحي الحقيقي إن سقط في الخطيَّة؟

الإجابة:

١– عليه أن يدرك أن الله لا يزال أباه «وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضًا» (١يو٢: ٢).

٢- يُدرك أن خلاصه لن يفقد لأن «هبات الله ودعوته هي بلا ندامة» (رو١١: ٢٩)، «وأما هبة الله فهي حياة أبديَّةٌ بالمسيح يسوع ربنا» (رو٦: ٢٣)، «لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أف٢: ٨).

٣- يُدرك أيضًا أن المسيح شافع له «لأن المسيح لم يدخل إلي أقداس مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلي السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب٩:٢٤). والرَّبّ يسوع دائمًا يُنجِّيه «فمِنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضًا إلي التمام الذين يتقدمون به إلي الله، إذ هو حيٌّ في كل حينٍ ليشفع فيهم» (عب٧:٢٥).

٤- كذلك يتيقن أن المسيح قادر على ردّ نفسه «يَرُدُّ نفسي. يهديني إلي سُبُلِ البِرِّ من أجل اسمه» (مزمور٢٣:٣).

٥- يُدرك أنه يحتاج للغفران الأبوي «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتَّى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثمٍ» (١يو١:٩).

وأنواع الغفران هي:

- **الغفران الأبدي:** وهو الذي يحصل عليه الإنسان الخاطئ بمجرد إيمانه الحقيقي بعمل الرَّبّ يسوع الكفَّاري علي الصليب (أف١:٧ ؛كو١:١٣) كما قال الرَّبّ للمرأة : «إيمانك قد خلَّصك» (لو٧:٥٠)، «وإذ كنتم أمواتًا في الخطايا وغُلَف جسدكم، أحياكم معه، مُسامحًا لكم بجميع الخطايا» (كو٢:١٣). وهذا الغفران ثابت وأبدي ويحصل عليه الإنسان مرة واحدة وإلي الأبد، ولن يُفْقَد لأنه مُؤسَّس علي عمل الرَّبّ يسوع علي الصليب «الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا» (أف١:٧).

- **الغفران الأبوي:** وهو الذي يحصل عليه المؤمن الحقيقي عندما يعترف لله أبيه بالخطيَّة «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتَّى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١:٩). وهذا الغفران مُتكرِّر يحتاج إليه المؤمن في كل مرة يسقط وتُقطع شركته مع الله أبيه.
- **الغفران الأخوي:** وهو عندما يغفر مؤمن لأخيه المؤمن «مُحتملين بعضكم بعضًا، ومُسامحين بعضكم بعضًا إن كان لأحدٍ على أحدٍ شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضًا» (كو٣:١٣) – (انظر أيضًا مت٦:١٢، ١٨:٢١؛ لو١١:٤).

٦- يعترف سريعًا لله أبيه بخطاياه «أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت: أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت أثام خطيتي» (مز٣٢:٥)، «مَنْ يكتم خطاياه لا ينجح، ومَنْ يُقرُّ بها ويتركها يُرْحَم» (أم ٢٨:١٣).

٧- يثق في غفران الله له «طُوبى للذي غُفر إثمهُ وسُترت خطيته. طُوبى لرجلٍ لا يَحسب له الرَّبّ خطيةً. ولا في فمه غشٌّ» (مز ٣٢:١و٢؛ رو٤:٧و٨). وهذه النقطة هامة جدًا، فكثيرا ما يغفر الله لنا ولكن لا نغفر نحن لأنفسنا، وهذا يؤدي إلى أن يعيش المسيحي الحقيقي دون تمتع كامل بالضمير المُطهَّر الذي أعطاه الله له علي أساس كمال ذبيحة المسيح (عب١٠:٢) وكلما نضج المؤمن، كلما قصرت الفترة ما بين سقوطه وقيامه «لا تشمتي بي يا عدُوَّتي، إذا سقطتُ أقومُ» (مي٧:٨)، «لأن الصديق يسقط سبع مراتٍ ويقوم» (أم٢٤:١٦).

سؤال: ماذا لو استمر المسيحي الحقيقي في السُّقوط في الخطيَّة؟

الإجابة: يعيش مقطوع الشركة، والروح القدس حزين بداخله، وعندما لا يتجاوب مع عمل المسيح الشفاعي لرد نفسه، يضطر الرب إلى أن يؤدِّب هذا المؤمن «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تَخُرْ إذا وبَّخك. لأن الذي يحبه الرَّبّ يؤدِّبه، ويجلد كل ابنٍ يقبله» (عب١٢: ٥ و٦). فإن رجع المؤمن وتاب عن الخطأ يكف الله عن التأديب، ولكن إن استمر يستمر التأديب ولو حتى إلى الرقاد، فيهلك الجسد (١كو٥: ٥)؛ «... وكثيرون يرقدون. لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا. ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم» (١كو١١: ٣٠ -٣٢).

سؤال: ما هو الفرق بين المكافآت وبين وصول المسيحي الحقيقي إلى السماء حتَّى إن تكرر سقوطه في الخطيَّة؟

الإجابة: كل مؤمن حقيقي اسمه مكتوب في سفر الحياة (لو١٠: ٢٠؛ رؤ٢٠: ١٥و٢١: ٢٧)، وهو من أولاد الله (يو١: ١٢)، ووارث لله (رو٨: ١٧)، وسيصل إلى السماء على أساس ذبيحة المسيح (عب ١٠: ٢٦).

ولكن هناك فرق بين وصول المؤمن إلى السماء وحصول هذا المؤمن على المكافآت أي الأكاليل.

وهذه فكرة عن أسماء الأكاليل ومَنْ الذي سيفوز بها:

١- **الإكليل العام:** لكل مؤمن باعتباره ملكًا (رؤ٤: ٤).

٢- **إكليل البر:** للجهاد (٢تي٤: ٨).

٣- **إكليل الحياة:** لاحتمال التجارب والاستشهاد (يع١: ١٢؛ رؤ٢: ١٠).

٤- **إكليل المجد:** للرعاة (١بط٥:٤).

٥- **إكليل حفظ الكلمة:** لحافظي الكلمة ومنتظري مجيء الرَّبّ (رؤ٣:١١).

٦- **الإكليل الذي لا يفنى:** لمَنْ يركض ويُثابر وراء الرَّبّ دون تردد (١كو٩:٢٥).

٧- **إكليل السرور والافتخار:** لرابحي النفوس (في ٤:١؛ ١تس٢:١٩).

☆☆☆

شيء ممكن وآخر مستحيل

«نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش فيها؟»

(رو ٦:٢)

من الممكن للمؤمن أن يزِل في الخطية، لكن يستحيل أن يعيش فيها. ولقد قال الرسول يعقوب: «لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣:٢)، كما قال الرسول بول: «أيها الإخوة، إن انسبق إنسانٌ فأُخِذَ في زَلَّة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضًا» (غلا ٦:١). مما يدل على أنه حتى الروحاني ممكن أن يسقط في التجربة. لكن إن كانت الزلَّة واردة بالأسف، فإن العيشة في الخطية أمر مستحيل، كقول الرسول: «أ نبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟» ويُجيب على ذلك بالقول: «حاشا!» (بمعنى أن هذا أمر غير وارد) ، ثم يستطرد قائلاً: «نحن الذين مُتنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟» (رو ٦:١و ٢).

قد يتطرَّف أحدهم إلى الظن أن المسيحي لو سقط في الخطية لا يكون مؤمنًا حقيقيًا، لكن هذا غير صحيح، لأن المؤمن الحقيقي ممكن – بالأسف – أن يسقط في الخطية، لكنه يستحيل أن يعيش فيها.

لذلك أقول مُحذِّرًا إنه لو سقط في خطية ما أحد المُعترفين بالمسيح، وظل على حاله، ولم يرجع بالتوبة إلى الله، فهذا برهان عل أنه لم يُولد ثانيةً، لأن المؤمن الحقيقي، لسان حاله يقول: «إذا سقطت أقوم» (مي ٨:٧).

فإذا وُجد شخص يستمتع بفعل الخطية، ويجد نفسه فيها، فهذا دليل على أنه ليس مولودًا من الله. فالمولود من الله، حتى لو كان إيمانه ضعيفًا مثل لوط، يستحيل أن يتوافق مع الخطية، بل إنه يتعذَّب بسببها (انظر ٢بطرس ٨:٢). أما غير المؤمنين فهم لا ينزعجون مطلقًا بسببها «فبالحري مكروهٌ وفاسدٌ الإنسان الشارب الإثم كالماء!» (أي ١٦:١٥). «أ لم يعلم كل فاعلي الإثم، الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز، والرب لم يَدعوا» (مز ٤:١٤)؛ أي أن الخطية بالنسبة لهم كأكل الخبز وشُرب الماء.

يوسف رياض

حياة النُصرة

«نعلم أن كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشِّرير لا يمسه» (١يو ٥: ١٨).

[٢٠]كل منا يرغب في حياة منتصرة لا توجد فيها عبودية للخطية. وذلك بالرغم من الخطيَّة الساكنة فيه وبالرغم من جاذبية العالم وحرب إبليس المباغتة؛ لكن الرَّبّ أعطى لنا إمكانات النُصرة وذلك بالطبيعة الجديدة المُعطاة لنا، فهذه الطبيعة تحب البر وتُبغض الإثم.

وفيما يلي بعض الأفكار التي تساعدنا على الحياة المنتصرة:

١- **الشبع بالرَّبّ** (تك ١٤: ١٨ و١٩): وقف إبراهيم أمام ملكي صادق – وهو يشير إلى الرب يسوع – الذي أعطاه خبزًا (الشبع) وخمرًا (الفرح)، فلما وقف بعد ذلك أمام ملك سدوم الذي عرض عليه أملاكًا عظيمة رفضها بالرغم من أنها من حقه – حسب قوانين الحرب وقتها– واستطاع أن يقول «رفعت يدي إلى الرَّبّ الإله

---

[٢٠] حيّ ص٨٥ بقلم أنور داود.

العَليِّ مالك السماء والأرض، لا آخذنَّ خيطًا ولا شراك نعل»، من هنا نتعلَّم من كلمة الله أن «النفس الشبعانة تدوسُ العسل» (أم٢٧: ٧). فإذا كانت أجسادنا الطبيعية تتعرض للهزال والأمراض إذا لم نهتم بنظافتها وتغذيتها هكذا أيضًا حياتنا الروحية؟

فدعونا لا نترك أنفسنا حتَّى نجف ثم نبحث عن الغذاء لأن هناك عدوًا لن يهدأ بل سيلوح بإغراءاته الكثيرة.

٢- **احترس من الخطوة الأولى في الانحدار** (تك١٢: ٩): ارتحل إبراهيم ارتحالاً متواليًا نحو الجنوب. ربما كان يستبعد أنه في يوم من الأيام سينزل إلى مصر ليعيش هناك بلا مذبح وبلا خيمة؛ لكن – ويا للمفاجأة – لقد حدث هذا ونزل إلى مصر! الأمور بدأت بخطوة تلو الأخرى. فاعلم عزيزي الشاب أن إبليس يعرض عليك الخطيَّة في صورة فكرة عابرة، إذا رحبت بها كبرت وصارت ثعلبًا يُفسد كروم حياتك الجيدة، وإذا رفضتها تكون قد حققت انتصارًا من أقصر طريق.

٣- **احترس من أوقات التوتر** (تك ١٩: ٢٧و٢٨؛ ٢٠: ١): تعلَّق إبراهيم بابن أخيه لوط ربما لافتقاده للشعور بالأبوة، وفي حادثة سدوم صلَّى إبراهيم لأجلها وكان القصد من وراء ذلك هو لوط. وعندما أرسل الله النار من السماء تطلَّع إبراهيم ورأى دخان المدينة كدخان الأتون وظن أن لوطًا احترق مع المدينة ومات، فحزن إبراهيم واكتئب، وذهب إلى جرار وهناك قال عن سارة إنها أخته حسب الاتفاق الذي تم بينهما في أور قبل أن يخرجا. **ونلاحظ أن أيَّة بذور للشَّر إن لم يُحكم عليها حتمًا ستُثمر.** وربما نتعجَّب كيف أن إبراهيم يقع في هذه الخطيَّة مرة أخرى بعد

أن وقع فيها منذ ٢٥ سنة مضت! لكن هذا يُعطينا تحذيرًا من أوقات التوتر حيث تصبح كل خطوط المُقاومة منهارة تمامًا وتصبح معها أقل حرب خاسرة، فلنحرص أن نفرغ الضغوط والتوتر النفسي في محضر الله بدلاً من أن يقدِّم لنا إبليس طرقًا أخرى فنقبلها.

٤- **استخلص الدروس والعبر من سقطاتك:** الأمر الذي لم يفعله إبراهيم فتكرر نفس الخطأ بعد ٢٥ سنة (تك ١٢:١٣؛ ٢٠:٢)؛ وكذلك شمشون وحكاياته مع بنات الفلسطينيين (قض ١٤و١٥و١٦)، مع ما في ذلك من نتائج مريرة.

٥- **العيشة المستمرة في محضر الله:** مثل يوسف الذي قال: «فكيف أفعل هذا الشَّرّ العظيم وأُخطئ إلى الله؟» (تك ٣٩: ٩) فكان يوسف يستشعر حضور الله في كل مكان حتَّى في بيت فوطيفار. وهذا هو الإيمان الذي يرى الله في كل الظروف والأماكن، إن شعورنا بمحضره يجعلنا نراعي مطاليب قداسة ذاك الذي نحن في محضره. (ذكر يوسف اسم الله عشرين مرة في أرض مصر في مناسبات مختلفة).

وإن كان الآب قد نقلنا إلى شركة ميراث القدِّيسين في النور، فيجب أن نسلك كأولاد نور وبالتدقيق (أف٥: ٨،١٥).

٦- **السهر الروحي:** استغل إبليس تراخي داود، الرجل الذي بحسب قلب الرب ومُرنِّم إسرائيل الحلو، وعرض عليه الخطية فسقط بسهولة (٢صم ١١: ٢) ربما لو سألنا داود في البداية لاستنكر إمكانية سقوطه فيها، لكن هذا ما حدث وإبليس يستغل أوقات النوم والتراخي ويُباغتنا لذا يحرضنا الكتاب على الصحو «منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين» (١بط١: ١٣)، «اصحوا واسهروا» (١بط٥: ٨).

٧- **ارتداء سلاح الله الكامل وأسلحة النور** وذلك لكي يستطيع المؤمن أن يثبت ضد مكايد إبليس وأن يقاوم في اليوم الشرير (أي فترة الحياة الحاضرة) وأن نلبس أسلحة النور (أف٦: ١٠- ١٨؛ رو١٣: ١٢).

٨- **الحُكم على الأفكار** (لو ٩: ٤٦، ٢٢: ٢٤): التلاميذ داخلَهم فكر مَنْ منهم هو الأعظم (لو ٩: ٤٦)، ربما استحوا أن يعلنوه أمام بعضهم ولأنهم لم يحكموا على هذا الفكر فإنه نما وتحول إلى فعل فصارت بينهم مشاجرة علانية «وكانت بينهم أيضًا مشاجرة» (لو ٢٢: ٢٤). وهكذا، فالأفكار الخاطئة إن لم يُحكم عليها (مز١٣٩: ٢٣) ستنمو وتظهر في صورة أفعال.

٩- **لا تتواجد في مجال عمل الخطيَّة لأنه سيقودك إلى السُّقوط** (يع ١٤:١): فهناك مجالات معطلِّة ومؤثِّرة على المؤمن شبهها يعقوب بمجال الجذب المغناطيسي، عندما يدخل فيها الإنسان ينجذب وينخدع من شهوته، لذا فلنحذر منها ونبتعد عنها. لا تمر في الشارع الذي يوجد فيه دكان الشيطان!!

١٠- **الخوف من الخطيَّة:** قال جون وسلي: ''أعطني مئة رجل لا يخافون سوى من الخطيَّة وأنا أغلب بهم العالم''.

ما أخطر الخوف من عقوبة الخطيَّة فقط ، أو تأديب الله بسببها أو تأثيرها علينا دون الخوف من الخطيَّة ذاتها، فإن هذا لا بد أن يجلب الهزيمة يوما ما، لكن اكره الخطية لأنها تجرح قلب من أحبنا ومات عنا بسببها ولأنها تُعيق شركتنا معه.

١١- تذكَّر الآيات الخاصة بالعتق من الخطية في رومية ٦:

✍ **اعلم:** «عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلب معه» (رو ٦:٦).

✍ **احسب:** «احسبُوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية» (رو ٦: ١١).

✍ **قدّم:** «قدِّمُوا ... أعضاءكم آلات برٍّ لله» (رو ٦: ١٣).

وأخيرًا ... إن كان واردًا أن يَزل المؤمن، لكنه ليس واردًا أن يعيش في الخطية.

سؤال: أنا شاب مؤمن، وقد سمعت كثيرًا عن النُّصرة المستمرة على الخطيَّة، وعن الحرِّيَّة في الحياة المسيحية، لكن ما أختبره هو إنني أنتصر مرة وانهزم مرارًا، وأغلب حياتي هزيمة، لذلك أشعر بالعبودية، ونادرًا ما أختبر الفرح الحقيقي. فما السبب؟ وأين الحل؟

الإجابة[٢١]: لا توجد حياة يختبر فيها الإنسان نُصرة حقيقية على الخطيَّة وحرية من قيودها، مثل الحياة مع المسيح «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا» (يو٨: ٣٦). والمؤمن الذي يعيش حياة فيها أي شيء من العبودية للخطية، هو لم يحيا بعد حياة مسيحية حقيقية. لكن الحياة المسيحية هي أيضًا حياة فيها نمو ونضوج متدرج، فمفاهيم المؤمن الحديث وأفكاره أغلبها تكون غير دقيقة، وتدريجيًا تتحسن «أما سبيل الصدِّيقين فكنور مُشرقٍ، يتزايد ويُنير إلى النهار الكامل» (أم ٤: ١٨). فيتم فك القيود المُكبِّل بها الشخص حتَّى يختبر الحياة المسيحية.

ومن ضمن المفاهيم التي تجعل المؤمن مقيَّدًا وتُعيق النُّصرة الآتي:

✓ عدم إدراك المؤمن أن طبيعة الخطيَّة ما زالت فيه كما كانت قبل

---

[٢١] السؤال وإجابته بالمجلد الخامس نحو الهدف عدد ٤٧ ص٢٤ – بقلم د. عصام عزت.

الإيمان، أو التوهُّم بأنها على الأقل قد تحسنت، أو الظن بأنه بالتصدي لرغبتها داخله وبذل مجهود أكبر مع الصوم والصلوات سوف تتحسن أو تكون أقل شراسة ونجاسة. فيدخل في صراع مع هذه الطبيعة، وينتج عن هذا الصراع أنه لن يُبطَل مفعولها ولن تتحسَّن، لكن المؤمن سينهزم. وكلما زادت ضراوة هذه المعركة كلما ازدادت عبودية المؤمن وهزيمته ويظل الحال هكذا حتَّى يختبر القول: «إني أعلم أنه ليس ساكنٌ فيَّ (أي في جسدي) شيءٌ صالحٌ» (رو٧: ١٨). وبعد أن ييأس، يتعلَّم أن يتحوَّل عن الصراع معها، ولا يعطيها أُذُنًا مُصغية سواء بالقبول أو الرفض. فهو يتعلَّم أن يحسب نفسه قد مات مع المسيح عن الخطيَّة، وكما أن الميت لا يسمع صوتًا سواء كان هذا الصوت يمدحه أو يذمه، كذلك هو لا يتجاوب مع نداء الخطيَّة، وأيضًا لا يقاوم محاولاتها. هو أصبح لا يتعامل معها بل ليهرب إلى المسيح ناظرًا إليه مشغولاً به، والمسيح هو الذي سينقذه من شر تلك الطبيعة الساقطة.

- ✓ بعد أن يتعلَّم المؤمن فساد الجسد ورداءته، قد يتوهَّم أنه صار أقوى من الخطيَّة، فيستكثر على نفسه السقوط فيها، ويظل يتصدى لمحاولاتها حتَّى تأتي النُّصرة. فيبذل كل ما عنده من طاقه. ولكنه بعد كثرة الهزائم يتعلَّم أن الخطيَّة هي الأقوى وأنه هو الأضعف «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد» (غلا ٥:١٦ و١٧).
- ✓ في طريق تعلُّم المؤمن لهذه الدروس، يحاول الجسد الخبيث أن يحول التسليم للمسيح إلى استسلام للأمر الواقع. ومع أن الحل

يأتي من الخارج، لكنه لن يأتي لشخص استسلم للخطية! فالـــذي يستسلم لواقعه لا بد وأن يعيش حياة العبودية، والمؤمن المهزوم يجب ألا يكف عن الارتماء على الرَّبّ وطلب الإنقاذ. والمحاولة والصراع هما طريق التدريب الذي فيه يتعلَّم المؤمن رداءة الجسد وضعفه هو، ولن يأتيَه الإنقاذ إلا بعد أن يـــصرخ (نتيجـــة كثـــرة المحاولات وليس الاستـــسلام) «ويحي أنا الإنسان الشقيُّ! مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو٧: ٢٤).

- ✓ بعد كل هزيمة يظن المؤمن أنه يجب الإكثـــار مـــن الاعتـــراف والتوبة وأنه يجب أن يبقى خجلاً بعيدًا قبل أن يرجـــع للـــرب، فتطول الفترة ما بين السُّقوط في الخطيَّة والاعتراف بها، وهـــذا يؤدي إلي العبودية. لكن الكتاب يُعلِّمنا أنه مع أهمية الاعتـــراف بالخطيَّة وشهادة الضمير وتوبة القلب، لكن الرجوع السريع بعدها إلى الرَّبّ والتحوُّل عن الخطيَّة فور الاعتراف بها هـــو طريـــق النصرة، لأنه يضع المخطئ في مجال حضور الرَّبّ بعيدًا عـــن مشهد الخطيَّة، وهذه هي الشركة.
- ✓ وبعد أن يتعلَّم المؤمن هذه الدروس ويختبر النصرة، قد يتـــساهل في مُمارسة الشركة مع الرَّبّ ويحن لميول الطبيعة القديمة ويلـــذ له طعم ممارساتها ويقول: «العتيق أطيب» (لـــو ٥: ٣٩) يعـــود ليداعب هذه الرغبات ويتجاوب معها فيسقط في الخطيَّة، وبتكرار هذا الأمر، قد يريد الرَّبّ له أن يختبر أهمية الشركة وهو يتذوق مرارة البعد عنها فيعيش فترة مكبلاً ويحن للخـــروج مـــن هـــذه الدوامة.

التوبة

التوبة هي تغيير الاتجاه بالرجوع إلى الله «كيف رجعتم إلى الله من الأوثان، لتعبدوا الله الحيَّ الحقيقيَّ، وتنتظروا ابنه من السماء» (١تس ١:٩، ١٠). فالله هو الذي يُعطي التوبة (أع ١١: ١٨)، أو بمعنى آخر يُعطي معونة للرجوع. لكن تكمن مسؤولية الإنسان في طلب الرجوع، وترك حالة الضَّعف، والله يصادق على هذه الأشواق بإعطائه معونة للتوبة «تَوِّبني فأتوب» (إر٣١: ١٨).

التوبة هي تغيير الفكر والاتجاه إلى الله، أي أن يحكم الإنسان على نفسه وأفعاله ثم يرجع إلى الله. فهي ليست فقط الاعتراف بالخطيَّة لأن فرعون اعترف قائلاً: «أخطأت إلى الرب» (خر١٠:١٦). لكنه لم يتُب توبة قلبية. وهي لا تعني الندم على الخطإ فقط لأن يهوذا الإسخريوطي «ندم» (مت٢٧: ٣).

إذًا التوبة الحقيقية ليست هي الاعتراف بالخطإ والندم فحسب بل هي تغيير اتجاه الحياة وطريقة التفكير ثم الالتجاء إلى الله، وإن كان ذلك يتضمن الاعتراف بالخطإ والندم.

من كلمة الله نفهم أن مشيئة الله للشخص البعيد عن الله أن يتوب «لا يتباطأ الرَّبّ عن وعده كما يحسب قومٌ التباطؤ، لكنه يتأنَّى علينا، وهو لا

يشاء أن يهلك أناسٌ، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣: ٩)، فلطف الله يقود الخاطئ للتوبة. ومعاملات الرَّبّ الحبيَّة التي تشمل العطاء والجود والمراحم هدفها إشعار الخاطئ بقلب الرَّبّ ومن ثَمَّ يرجع إليه. والتوبة كذلك أمر إلهي (أع ١٧: ٣٠؛ رو٢: ٤). ومن كلمة الله نفهم أن التوبة كذلك للمؤمن «لأن الحُزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حُزن العالم فيُنشئُ موتًا» (٢كو ٧: ١٠). والمؤمن يتوب باستمرار، طالما الضَّعف وارد في حياته، فيجب أن يجلس المؤمن مع الرَّبّ يراجع خطواته، ويمتحن نفسه، ولا يشفق عليها، ولا يلتمس لها الأعذار، ويعترف بأي ضعف أمام الرب.

التوبة تستلزم ترك حياة الخطيَّة ...

فليس المطلوب منا أن نتوب مرة عند رجوعنا للرب فحسب، بل هي عملية مستمرة. لهذا يجب على المؤمن أن يقف ضد نفسه ويحكم على كل تصرُّف لا يرضي الرب، ويطلب معونة من الرَّبّ ليُصحح طريقه.

التوبة تستلزم ترك حياة الخطيَّة، وهذا يعني لا أن نعترف بالخطيَّة فقط، بل أن نتركها «مَنْ يقر بها ويتركها يُرحم» (أم٢٨: ١٣)، لكن مَنْ يعترف بالخطيَّة وفي داخله نيَّة للرجوع إليها مرة أخرى فهو يظن أنه يخدع الله، مع أن الله لا يُشمخ عليه.

التوبة ليست انفعال وقتي عاطفي نحو الله بل هي تحوُّل جدي وجذري في الحياة.

التوبة ليست محاولة لترك الشَّرّ وتقليل عدد مرات السُّقوط في الخطيَّة، فهذه هي محاولات للتوبة بل هي – كما سبق وذكرنا– رجوع للرب ينتج عنه تغير فكري فتتولد عندنا قناعات بأن الخطيَّة خاطئة جدًا

وشرٌ عظيمٌ في عيني الرب، وينتج عنها تغيير عاطفي، فنكره الخطيَّة من قلوبنا، والنتيجة الطبيعية للتغير الفكري والعاطفي أن يترك المؤمن حياة الخطيَّة.

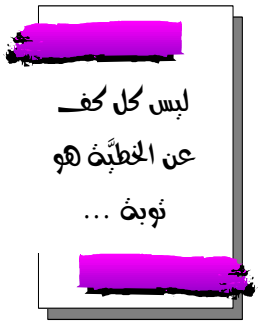

ليس كل كف عن الخطيَّة هو توبة، فالبعض لا يعمل الخطيَّة خوفًا من نتائجها أو خوفًا من العقاب أو لأنها غير متاحة، ومع ذلك يتحين الفرص لارتكابها، هذه ليست توبة على الإطلاق.

مجالات التوبة:

- **كافة الخطايا يجب أن نتوب عنها.** صحيح أن هناك نقاط ضعف لكل مؤمن تختلف عن الآخر هذه تستلزم سهر وحرص، لكن يجب أن نضع في بالنا أن السفينة لا تحتاج لأكثر من ثقب لكي تغرق. لهذا لا يجب أن نتساهل مع الشَّرّ وشبه الشَّر(كل أشكال الشر)[٢٢]. وعندما ترتقي حياة المؤمن تكون له الحواس المدربة، فيتوب عن خطايا قد لا يعتبرها البعض خطايا؛ فنقص المحبة للرب مثلا هو خطية، وبمراجعة كلام الرَّبّ لملاك كنيسة أفسس نفهم أنها تحتاج لتوبة: «لكن عندي عليك: أنك تركت محبتك الأولى[٢٣]. فاذكر من أين سقطت وتُبْ، واعمل الأعمال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريبٍ وأُزحزحُ منارتك من مكانها، إن لم تَتُبْ» (رؤ٢: ٤،٥).

---

[٢٢] every form of wickedness

[٢٣] that thou hast left thy first love

- **ترك كل ما هو مُعْثِر.** لكي تستمر التوبة يستلزم الأمر ترك أشخاص مُعْثِرِين أو أماكن مُعْثِرَة أو أمور بها نكون في مجال التجربة، فقول الرَّبّ واضح في موعظة الجبل أن نتخلَّص من كل ما يتسبَّب في عثرتنا، فلا يجب أن ندع شيئا يعيق علاقتنا بالرب.

أنور داود

ثبات مركز المؤمن [٢٤]

(شفاعة المسيح)

إن حياة المؤمن الرُّوحيَّة لا تسير على وتيرة واحدة، فهي كما تقول الترنيمة تارة في الأوج طورًا في الحضيض؛ فلسبب ظروف البريَّة، والجسد الذي يشتهي ضد الروح، ولسبب مكايد إبليس وحروبه، وإهمال وسائط النعمة، كل هذا يُعرِّض المؤمن للزلل ولضعف شركته مع الرب، وسبق أن ذكرنا أمثلة لكثير من الأتقياء الذين تعرَّضوا لمثل هذا، لكن الأمر المُشجِّع والمُعزِّي هو أن المؤمن مقامه ثابت أمام الله حيث يُرَى في المسيح، وهذا ما نفهمه من كلمة الله الصادقة:

«كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامَهُ في المحبة» (أف ١: ٤).

«ليُحضركم قدِّيسين وبلا لومٍ ولا شكوى أمامهُ» (كو ١: ٢٢).

«لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعةٍ بيدٍ أشباه

---

[٢٤] هذا الفصل بقلم أنور داود.

الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب ٩: ٢٤).

شفاعة المسيح تعني أن المسيح يُحامي ويدافع عنا، يقف في صفنا، ويعيننا وأيضًا يعزينا ويسدد احتياجاتنا؛ فهي تعنى أنه بكمالاته يمثِّلنا هناك في الأقداس ويضمن مركزنا وعلاقتنا بالآب.

فالشفاعة لا تقتصر فقط على مواجهة الخطية. إنه يستطيع أن يؤدي لنا بصورة كاملة ما نعجز نحن عن القيام به. يحفظ مقامنا في الأقداس، نُرَى فيه بلا لوم في المحبة، فكما يَرى اللهُ المسيحَ في كماله هكذا يرانا نحن أيضًا.

نحن نحتاج إلى شفاعة المسيح كل حين وليس فقط في أثناء الضَّعف (عب ٧: ٢٥). فلو أن شفاعة المسيح توقَّف عملها لحظة، لصار المؤمن قبيحًا حتَّى ولو كان في أسمى حالاته روحيًا، لهذا نحن نحتاج إلى شفاعة المسيح باستمرار.

وبالرجوع إلى الأجزاء الواردة في كلمة الله التي تكلَّمت عن شفاعة المسيح نتعلَّم الكثير من الدروس:

ففي رسالة يوحنا الأولى ١:٢ و٢ نقرأ: «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار». كتب يوحنا في الرسالة الأولي الأصحاح الأول أنه أصبح لنا شركة مع الآب والابن وهذا أمر يجعل فرحنا كاملاً، لكن في ذات الوقت يكتب أن الله نور وليس فيه ظلمة البتَّة، فهو يرى الأفكار ويعرف الكلمات قبل نُطقها ويرى الدوافع ويكشف حتَّى مخادع التصاوير (حز ٨: ١٢)، فهو يرى في الظلمة كما في النور، والظلمة لا تُظلم لديه.

إعلان أن الله نور يُعطينا حساسية ضد الوقوع في الشَّر، حتَّى في أبسط صوره من أجل ذلك كتب يوحنا بالروح القدس «يا أولادي، أكتب إليكم هذا (أن الله نور) لكي لا تخطئوا».

من ذات الرسالة والأصحاح الأول نفهم أنه وارد أن يُخطئ المؤمن «إن قلنا: إنه ليس لنا خطيَّة نُضِلُّ أنفسنا» (ع ٨)، فما هو موقف الله القدُّوس من خطيَّة المؤمن، هل يتغيَّر مقام المؤمن لسبب السُّقوط والزلل؟

بالطبع – كما سبقت الإشارة – مقام المؤمن ثابت في عيني الله، مقام المؤمن لا يتغيَّر حتَّى مع تغيُّر المؤمن، وما يضمن للمؤمن ثبات مركزه هو شفاعة المسيح. لهذا ذكر يوحنا بعد كلمة لا تخطئوا «وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عن الآب، يسوع المسيح البار» (١يو٢: ١) ولا يقول لنا ''شفيع عند الله'' لأن المؤمن لا يفقد بنويته لله.

لم يَقُل: ''إن تاب أحد''، بل «إن أخطأ أحد»، ففي وقت الخطإ وقبل التوبة والرجوع، المسيح قائم بعمله كالشفيع، وضامن مقامنا في الأقداس.

هذا الكلام لا يُشجِّع على الضَّعف والتراخي، ولا يَجعلنا أيضًا نتساهل مع الخطيَّة فهي تُعطِّل الشَّركة مع الرَّبّ ولها حصاد حيث أن الذي يزرعه الإنسان إياه يَحصد أيضًا (غل ٦: ٧).

لكن هذا الحق يُعطي سلامًا من جهة قبول المسيح لنا حتَّى أنه في أوقات ضعفنا أو فشلنا، فإن عينيه لا تريان فينا إلا الجمال. فالعروس حتَّى وهي في قمة تراخيها وبشهادتها عن نفسها «أنا نائمةٌ وقلبي مُستيقظٌ» (نش ٥: ٢) في ذات الوقت كان العريس بعينيه الجميلتين لا يرى فيها إلا الكمال إذ قال لها: «افتحي لي يا أُختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي!» (نش ٥: ٢).

ومن رومية ٨: ٣١-٣٤ نتعلَّم أن شفاعة المسيح دفاع لنا ضد شكاية الشيطان:

«فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا، فمَنْ علينا؟ الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟ مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يُبرِّر. مَنْ هو الذي يَدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضًا، الذي هو أيضًا عن يمين الله، الذي أيضًا يشفع فينا».

فإبليس باعتباره المُشتكي يقدِّم الشكاية، والشكوى بصفة عامة هي تقديم حُجج منطقية مُبرهنة بالأدلة، وهكذا أيضًا تكون شكوى إبليس؛ فهو لا يدَّعِي، بل دائمًا ما تكون لديه الأدلة التي يقدمها وهو يشتكي، وهذه غالبًا زلات المؤمن وسقطاته.

نراه في العهد القديم في مواقف مثل شكواه ضد أيوب أو يهوشع الكاهن العظيم بسبب ثيابه القذرة (أي ٢؛ زك ٣)، وفي العهد الجديد يُقدِّم الشكوى أيضًا، لكن الوضع مختلف، فبإكمال المسيح للعمل أصبحت الشكوى باطلة، فلمَنْ توجه الشكوى؟ هل إلى الله الذي برَّرنا عندما قبلنا في المسيح؟! أم إلى المسيح «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا»؟ والذي هو أيضًا شفيع لنا لضمان ثبات مقامنا رغم ضعفاتنا؟

لهذا فرغم شكاية إبليس المستمرة ضدنا، لكن شكواه مرفوضة.

ومن عبرانيين ٧: ٢٥ نعرف أن شفاعة المسيح تضمن لنا سلامة الوصول إلى المجد:

«فمِنْ ثمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضًا إلى التمام الذين

يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كلِّ حينٍ ليشفع فيهم».

قريبًا سنصل المجد وسنكون مثل الرَّبّ بغير فساد «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣:٢). عندئذ ستنتهي البريَّة وسيتغيَّر الجسد ليكون على صورة جسد مجده «الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣:٢١)، وإبليس سيُسحَق «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا» (رو١٦:٢٠)، والعالم سيتلاشى «والعالم يمضي[٢٥] وشهوته، وأما الذي يصنعُ مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو ٢:١٧). فعندما يغيب الأعداء ويتغيَّر الجسد لا تكون هناك فرصة للزلل فلا نحتاج حينئذ لخدمة الشفاعة، لكن إلى ذلك الحين يقوم الرَّبّ بخدمته الشفاعية لنا كل حين إلى أن يوقفنا أمام مجده بلا عيب وبلا عثرة «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيبٍ في الابتهاج» (يهوذا ٢٤).

لكن من جهة أخرى، فكما أن الرَّبّ كالشفيع يضمن مقامنا في الأقداس، فهو من الناحية الأخرى بمعاملاته الإلهية يجعل المؤمن في حالة عملية تتوافق مع مقامه. ومن ضمن هذه المعاملات ردّ النفس: فالمؤمن قد يزلّ ويبتعد والرَّبّ يبحث عنه ويرد نفسه. فتبكيت المؤمن وإشعاره بالخطيَّة وإعادته إلى الشَّركة مع الآب هي من صميم عمل الرَّبّ كالشفيع.

ومن الأمثلة الكتابية لعمل المسيح الشفاعي: معاملات الرَّبّ مع

---

[٢٥] the world is passing

بطرس لرد نفسه، فقبل الوقوع في الزلَّة، أنذره الرَّبّ «سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكُمْ كالحنطة! ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣١ و٣٢)، وفي أثناء الزلَّة «فالتفت الرَّبّ ونظر إلى بطرس» (لو ٢٢: ٦١)، وبعد حدوث الزلَّة أرسل له رسالة مع المجدلية ثم ظهر له بنفسه بعد قيامته (١كو ١٥: ٥)، وأخيرًا ظهوره للتلاميذ وبطرس معهم عند بحيرة طبرية لرده للخدمة «ارْعَ خرافي ... ارْعَ غنمي ... ارْعَ غنمي» (يو ٢١: ١٦ و١٧).

ليت إدراكنا لعمل الرَّبّ الشفاعي يعطينا الاطمئنان من جهة ثبات مركزنا ومن جهة قبول الرَّبّ لنا ويعطينا أن نفهم معاملاته الإلهية لرد نفوسنا.

سؤال: هل هذا التعليم يُعطي رخصة للمؤمنين لعمل الخطيَّة؟

الإجابة [٢٦]: هذا لا نصيب له من الصحة للأسباب الآتية:

- المؤمنون الحقيقيون بولادتهم الرُّوحيَّة من الله يكرهون الخطيَّة. ويريدون أن يرضوا الله.
- إنهم، وإن كانوا لا يُدانون في الأبدية، لكن الخطيَّة تحرمهم من التمتع بالله وخدمته في العالم الحاضر، وهذا يسبب لنفوسهم آلامًا نفسية شديدة.
- إن خطيتهم تُعرِّضهم لتأديب الرب في الزمن الحاضر (١كو ١١: ٣؛ عب١٢: ٨-١٢)، ومُخيفٌ هو الوقوع في يد الله الحي

---

[٢٦] أسباب الخطيَّة ووسائل تجنبها والنهوض منها – ص١٢ – بقلم عوض سمعان

(عب١٠: ٣١) إذ أنه مثل نار آكلة (عب١٢: ٢٩).

سؤال: هل ثقتنا في الرَّبّ وفي قدرته، هذا يمنعنا من السُّقوط في الخطيَّة، حتَّى ولو ذهبنا للخطيَّة بإرادتنا؟

الإجابة[٢٧]: لتوضيح إجابة السؤال نقول إذا تعرَّض أحدنا لضيقة ما، يمكنه أن يصلِّي إلى الله، فينقذه منها. وذلك بناء على وعده القائل: «وادعني في يوم الضيق أنقذك، فتُمجِّدني» (مز٥٠: ١٥). أما إذا أقدم أحد الأشخاص على الانتحار (مثلاً)، بدعوى أن الله يستطيع إنقاذه من الموت إذا أراد له أجلاً، فإن الله يتركه وشأنه، ومن ثم يقضي هذا المسكين نَحْبَه محكومًا عليه من نفسه بأنه لا يستحق الحياة، لأنه بنى دعواه على تصوراته الشخصية وليس على كلمة الله، التي تنهى عن قتل النفس نهائيًا.

وعلى هذا القياس نسأل الذين يتجهون إلى فعل الخطيَّة بدعوى أن الله يستطيع إنقاذهم من السُّقوط فيها إذا أراد لا يمكن أن ينقذهم منها على الإطلاق بل يتركهم وشأنهم، ومن ثم يسقطون في الخطيَّة التي اتجهوا إليها محكومًا عليهم من أنفسهم بأنهم لا يستحقون التمتع بالقداسة، لأن دعواهم مذكورة ومؤسَّسة أيضًا على تصوراتهم الشخصية وليس على كلمة الله، إذ أن هذه تنادي كل منا بالقول: «أما الشَّهوات الشبابية فاهرب منها» (٢تي٢: ٢٢) وكما تنادينا جميعًا بالقول: «كونوا كارهين الشَّر، ملتصقين بالخير» (رو١٢: ٩) «امتنعوا عن كل شبه شرٍّ[٢٨]» (١تس٥: ٢٢).

---

[٢٧] أسباب الخطيَّة ووسائل تجنبها والنهوض منها – ص ٨٧-٨٩ بقلم: عوض سمعان.

[٢٨] every form of wickedness

حقًا إن الله يتداخل بنفسه أحيانًا في ظروفنا وينقذنا من التجارب التي تعترض سبيلنا، غير أنه لا يقوم بهذا العمل إلاّ إذا رآنا قد أُخذنا على غِرَّة، وكنا في الوقت نفسه مُخلصين في سلوكنا ومُنفذين إرادته بضمائر صالحة كما فعل مع يوسف من قبل (انظر تك٣٧). والنبي الذي اختبر معاملة الله هذا سأله: «أخرجني من الشبكة التي خبَّأُوها لي» (مز٣١: ٤).

أما الاتجاه إلى الخطيَّة بدعوى أن الله يستطيع إنقاذنا منها إذا أراد فإنه يتعارض مع العقل ومع الوحي أيضًا فمكتوب «لا تُجرِّب الرَّبّ إلهك» (مت٤: ٧) ومكتوب «الله لا يُشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إيَّاه يحصد أيضًا، لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا، ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياةً أبديَّة» (غلا٦:٧ و٨). ومكتوب: «هل يجتنون من الشوك عنبًا، ومن الحسك تينًا؟» (مت٧: ١٦) الجواب: طبعًا كلا.

ومن ثم يجب أن نبتعد عن الخطيَّة تمامًا، حتَّى نعيش محفوظين من عواقبها الوخيمة كما أنه إذا أفلت الزمام من أحدنا وسقط في خطيَّة ما، يجب ألا يستسلم للسقوط فيها بدعوى أنه ضعيف في ذاته وأن الله وحده هو الذي يستطيع إنقاذه منها إذا أراد – لأن موقفًا مثل هذا، يكون دليلاً على التراخي والرغبة في البقاء في الخطيَّة، الأمر الذي لا يليق بالمؤمن الحقيقي على الإطلاق– بل يجب أن يصرخ بإخلاص إلى الرب، كما صرخ بطرس الرسول عندما كان على وشك الغرق قائلاً: «يا رب، نجِّني!» (مت١٤:٣٠) فينقذه في الحال، لأنه – له المجد – لا يريد أن يبقى أحدنا في الخطيَّة لحظة واحدة وبعد ذلك عليه أن يسلك بكل تدقيق، مُثبِّتًا نظره في الرَّبّ دون سواه، فيمده بالمعونة التي تؤهله لاستئناف السير معه، بدون عثرة أو زلَل.

المشكلة الشبابية[٢٩]

أضرارها وعلاجها

تُسمَّى بالعَادة السريَّة، وعن طريق مُمارستها يسقط الشاب في انحرافات جنسية تكون لها من الآثار المدمرة له نفسيًا وروحيًا واجتماعيًا. ودائمًا ما تصحبها تصورات نجسة. لذلك فهي خطيَّة زنا، وهي لا تروي الغريزة بل تزيدها عطشًا «كل مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا». إنها لا تُعالج التوتر بل التوتر يقود أيضًا إلى السقوط فيها؛ وهي تزيده حِدَّة، مما يقود أيضًا للسقوط فيها أكثر، وهكذا يدخل الشاب في حلقة مفرغة. توتر يقود إلى سقوط، هذا السُّقوط يؤدي إلى التوتر النفسي أيضًا، فمن ثم يحدث سقوط آخر ... وهكذا.

ترجع خطورة هذه الخطيَّة عن أية عادة أخرى أن هذه العادة يقودها شيء من داخل الإنسان وهي **الغريزة الجنسية**. مع مُمارستها تُصبح عادة؛ أي أن الذي يتحكَّم في عملها حُكم العادة وليس الإرادة؛ لذلك قد

---

[٢٩] ننصح بالرجوع لكتاب: المشكلة الشبابية ... أضرارها وعلاجها – لخادم الرب الراحل/ عوض سمعان. (الناشر: مكتبة خلاص النفوس).

تجد بعض الشباب المغلوبين منها يُمارسونها رغم عدم رضـــاهم عنهـــا وعدم حبهم لها، فإن كان في البداية يفعلها الشخص من منطلق التجريب أو البحث عن اللذة، لكن ينتهي به الأمر أن يصل لمرحلة العبودية «مـــا لست أريده إياه أفعل، بل ما أبغضه فإياه أفعل» (رو٧: ٢٢).

أضرارها النفسية:

١- تجعل الشخص يفقد احترامه لنفسه، ويشعر بعدم احترام الغير له.

٢- تسبب المخاوف فيصبح أسير العادة أكثر تعرضًـــا مـــن غيـــره للوساوس والأوهام، ومن ثم يهيج ويضطرب ويكتئب ويبأس لأقل الأسباب.

٣- السُّقوط فيها سبب من أسباب الغباوة والشرود وتبلد الذهن، وعدم القدرة على تركيز الفكر فـــي الموضـــوعات الهامـــة، والكـــسل والتراخي في أداء الأعمال التي قد يُكلف الشاب بها.

٤- تجعل مَنْ يُستعبد لها في صراع بين أحلام اليقظة وبين الواقـــع الذي يعيش فيه.

٥- لها الكثير من الأضرار الجسدية فهي تقود للإرهاق الجسدي، ولها أضرارها الاجتماعية فهي تؤثر على تواصل الشاب مع المُحيطين به، وتجعله يسلك بانطوائية. ولها أضرارها الروحية؛ إذ تجعـــل فاعلها يشعر بالذنب، وحتى في مشاركته الرُّوحيَّة يـــشعر بأنـــه ممثل، ولأنها خطيَّة فهي تُحزن الروح القدس فيقضي الشاب أيامه بين سقوط وقيام، سقوط وتوبة ورجوع ... كل هذا يؤثر علـــى بنيانه الروحي.

أسباب السُّقوط فيها:

١- **الفراغ والخمول والوحدة:** هناك حكمة صائبة تقول: ''الذهن الفارغ معمل للشيطان''؛ لذلك ننصح إخوتنا الشباب بأن يشغلوا أذهانهم بكل ما هو نافع (في ٤: ٨)، ويخلقوا لأنفسهم برامج لملء وقت الفراغ ولا سيما وقت الإجازة الصيفية، وليتجنَّبوا جو الوحدة وذلك بالسعي نحو الأنشطة التي فيها تفاعل مع الآخرين، وليحذروا من الكسل والخمول. وعلى الشاب أن يبدأ برنامجه اليومي بمجرد استيقاظه سواء برنامجه الروحي أو الزمني، ولا يُعطي لإبليس فرصة أن يُجرِّبه، وعندما تسيطر عليه أية أفكار شريرة عليه بتغيير وضعه ومكانه فورًا، فالهروب هو أفضل سلاح لمواجهة هذه العادة، وكما قيل: ''جناحي الحمامة للهروب أقوى من فكي الأسد للمقاومة''.

٢- **أصدقاء السوء:** من أخطر الطرق التي يعرف بها الشاب هذه العادة أصدقاء السوء؛ إذ يأخذ منهم معلومات فيها الكثير من صور الانحراف، ويتلقى المعلومات الجنسية بصورة خاطئة مشوَّهة؛ لذلك ننصح الآباء بالمُصارحة مع أبنائهم وإعطائهم المعلومات الكافية والتي تناسب سنهم عن الغريزة الجنسية ودورها، وذلك بدلاً من أن يأخذ الشاب المعلومات مشوَّهة من مصادر أخرى. وهذا الدور من الممكن أن يقوم به الخادم بين الشباب وإن كان على فترات متباعدة.

٣- **الانطواء على النفس:** فالذين ينطوون على أنفسهم، كثيرًا ما يتجهون إلى ذواتهم ليستقوا منها لذاتهم.

٤- **الفقر والتعاسة والحرمان:** قد يسبب الحرمان ونقص الترفيه في إقدام البعض على هذه العادة ليرفهوا بها عن أنفسهم، حتَّى ولو كان هذا العمل مؤذيًا لهم.

٥- **الإفراط في تدليل الآباء للأبناء واستجابتهم لجميع مطالبهم بسهولة:** هذا يجعل الشاب ينشأ وهو لم يتعلَّم الصبر، وضبط النفس، وتأجيل الرغبات حيث أن كل ما يطلبه يجده؛ لذلك يكون تعامله مع الغريزة الجنسية بهذه الطريقة أيضًا فلا يؤجل رغبته، بل يسعى لإشباعها حتَّى وإن كان بهذه الطريقة المنحرفة.

٦- **التظاهر بمظهر الكبار:** ربما يسقط البعض فيها ظانًا منهم أنهم بممارستها يكونون قد انضموا إلى عالم الكبار.

وفي ما يلي إجابة على بعض التساؤلات المتعلقة بهذا الموضوع:

سؤال: كوننا نعتبر هذه العادة خطيَّة فهذا يجعل الشاب يشعر بالذنب، وهذا الشعور يدمره نفسيًا. هل من تعليق؟

الإجابة: في ضوء الكتاب المقدس فإننا لا نقدر أن نقول عنها سوى إنها خطية، وهي خطيَّة زنا أيضًا إذ يقترن السُّقوط فيها بالاشتهاء والفكر الدنس، أما عن خطورة هذا التقييم على الشباب المغلوبين منها، فأعتقد أنه أقل ضررًا من خداعهم بالقول: إن الأمر طبيعي لا خطأ فيه مع أنه خطأ. فعندما يعلم الشاب أن هذا الأمر فيه خطيَّة ليس ضد نفسه وجسده فقط، بل إلى الله الذي وضع نظامًا لكل شيء، وأيضًا ضد مطاليب قداسة الله، فلا بد أنه سوف يراجع خطواته ويطلب من الرَّبّ معونة لحياة النصرة.

سؤال: هناك بعض الأشخاص جهازهم العصبي حاد، فهل هذه العادة مناسبة للتنفيس عن هؤلاء؟

الإجابة: الذين يسقطون في هذه الخطايا غالبًا هم أنفسهم الذين يشعلون نيران الشهوة داخلهم، وذلك بالتفكير فيها والانشغال بها، فهناك رأي يقول: ''القوة غير الطبيعية في الغريزة الجنسية ترجع في الغالب إلى المغالاة في إرضاء هذه الغريزة''.

سؤال: هناك إحصائية تقول إن نسبة الذين يقعون في هذه العادة ٩٩٪ وبالتالي فالوضع عام على الكل. فما التعليق؟

الإجابة: النسبة السابق ذكرها مُضلِّلة لأنها من الإحصائيات المذكورة عن بعض الشباب في الغرب، وهدف إبليس منها هو أن يضلل بها البعض ليقوى أو يبلد ضمائرهم، فلا يشعرون بأية مذنوبية وهم يمارسون هذه العادة، وبالتالي يقودهم لأن يكونوا مغلوبين منها ومستعبدين لها (لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضًا) (٢بط٢: ١٩). وقد وجدت هذه النسبة حوالي ٦٦%. وحتى لو كانت النسبة كبيرة لماذا لا يجتهد الشاب أن يكون من ضمن الذين يحفظون أنفسهم طاهرين؟

سؤال: المشكلة الشبابية .. هل من طريق للخروج منها؟

الإجابة[٣٠]: هناك عدة أشكال من الإدمان، فيمكننا أن نرى شخصًا

---

[٣٠] هذا السؤال وإجابته: عن الانترنت بتصرف.

مُدمناً لنوع من المخدرات، وآخر يدمن المُنبِّهات، أو الطعام فأي شيء يتم تكراره دون تفكير لمرات كثيرة للدرجة التي يفقد فيها الإنسان القدرة على الصمود أمام هذا المؤثر فإن ذلك يتحول لعادة،

والحقيقة أن العادة لا تُميِّز بين سن وآخر.

يُعرِّف المتخصصون العادة السريَّة على أنها ''إشباع ذاتي للشهوة الجنسية''. وهذا يعني الوصول بالأعضاء الجنسية عند الرجال أو السيدات لدرجة الهياج التي تماثل اللذة الجنسية ولكن بصورة شخصية.

لكن السؤال الأهم: هل تعتقد أن القدرة الجنسية وضعت في الإنسان لكي يمارس العادة السريَّة، هل غرض الجنس هو إشباع ذاتي بين الشخص ومخيلته؟

الجنس هو شيء قدَّسه الله في الإنسان، وهو أحد أدوات الاتصال بين الزوج والزوجة، وأحد صور التعبير عن المحبة التي تربط بين الزوجين بصورة حقيقية ملموسة.

بعض نتائج مُمارسة العَادة السريَّة:

١- المُمارسة المستمرة للعادة السريَّة تقود **للسلبية:** لأنها عبارة عن سلوك فردي يقوم به الإنسان دون تواصل مع الطرف الآخر ويحصل من خلاله على بعض من النشوة، فالعادة السريَّة تقود الشخص لتجنب المسؤولية وعدم إنجاز المطلوب منه وتقوده أيضًا لتجنب الناس خاصة الجنس الآخر.

٢- الشعور **بالوحدة:** لأن العادة السريَّة تعطي نشوة لحظية ثم يعود الإنسان ليشعر بالوحدة بعد الممارسة. ودعنا لا ننسى أن العادة هي عرض خارجي للاهتمام الشديد بالذات والتمركز حول ''الأنا''.

٣- فهم خاطئ **للمتعة:** تجعل الرجل يطلب ما يسبب له المتعة، وهذا يجعله أنانيا حتَّى بعد الزواج يسعى لمتعته فقط دون مراعاة الطرف الآخر.

هذا وينبغي ألا نحيط العادة الشبابية بهالة من التخويف والرعب، والمبالغة والتهويل في أضرارها الجسمانية. لأن مبدأ الامتناع عن فعل الشيء خوفاً فقط من أضراره، هو مبدأ يقلِّل من قيمة الإرادة الإنسانية التي بإمكانها أن تتحرّك إيجابيًا نحو الخير، رافضة الانغماس في الخطأ.

لكن يمكنك أن تقول: إن العادة السريَّة تسبِّب لي نشوة ومتعة، فلماذا أتوقف عنها؟

لكي يستخدم الشخص أي جهاز استخدامًا سليمًا يجب أن يعرف ماذا يفعل الجهاز وما هي طريقة عمله، والوسيلة الصحيحة والمضمونة لذلك هي قراءة كتيب الاستخدام المُرفق والذي كتبته الشركة المنتجة، الشيء نفسه بالنسبة للجنس، الله خلقه ووضع له ضوابط في إطار الزواج، لكن العادة السريَّة لا تتوافق مع الهدف الجميل الذي خلق الله الجنس لأجله وهو توفير وسيلة اتصال ممتعة للطرفين يعبران فيها عن معنى من معاني العطاء عن طريق الرغبة المباشرة في إمتاع الطرف الآخر.

إذا كنت سرت في طريق العادة السريَّة ولا تريد أن تحدث هذه النتائج في حياتك، أولاً أقول لك إنك لست الوحيد على هذه الطريق، ولكن المهم أن تكون متأكدًا أنه توجد طريق للعودة.

قد يبدو التخلص من العادة السريَّة مستحيلاً ولكن الواقع ليس كذلك. يمكن أن تصبح العادة مجرد شيء من الماضي ومن الممكن الانتصار عليها.

إليك بعض النصائح:

(ولكن قبل النصائح يجب التأكيد على أن لا نركز جهادنا على مجرد التخلُّص من عملية الاستثارة الذاتية كفعل بحد ذاته، فهذا هو العرض الخارجي فقط ... إنما ينبغي أن يحاول الفرد أن يتحرر من التركيز على الذات، وهذا هو العلاج الجذري ... ويمكن أن يتم ذلك بالاندماج في مجتمعات سليمة بناءة والارتباط بأصدقاء جيدين، والقيام بخدمات فيها البذل والعطاء مثل خدمة ملاجئ الأيتام والمسنين، فهذه النوعية من الخدمات من شأنها أن تُخرج الفرد من التفكير في ذاته، أو هي تقتل الأنانية بالحب):

١- نية البداية: والرغبة الصادقة في الإقلاع عن هذه العادة.

٢- كسر السلسلة: هناك مَنْ يريد تحريرك. يسوع المسيح، هو الوحيد الذي يقدر أن يكسر سلسلة العادة عندما تثق فيه فهو قادر، فالثقة والإيمان في المسيح كمخلص، يحررنا من عبودية الخطيَّة ويعطينا قوة لمواجهتها.

٣- أدرك أن مقياس النمو في الحياة الرُّوحيَّة ليس فقط الامتناع عن الخطيَّة (الجانب السلبي)، بل النمو الداخلي المستمر في علاقتنا مع الله (الجانب الإيجابي).

٤- أن تنظر إلى العادة الشبابية نظرة موضوعية واقعية، فلا تقلِّل من كونها خطية، ولا تبالغ في خطورتها إلى درجة الرعب منها، لأن ذلك يُفقد مَنْ يُمارسها الرجاء في الشفاء منها، أما مَنْ رآها بحجمها، فيصبح من السهل عليه الخلاص منها بنعمة الله.

٥- أدرك أننا مخلوقون على صورة الله، ولذلك لنا إرادة حرة، وقدرة

فائقة للتحكم في النفس، وليس الإنسان بطبعه منقادًا ولا مُسيَّرًا بلا وعي ... وهو ليس عبدًا مسلوب الإرادة، تقوده شهواته دون أن يكون قادرًا على التحكم فيها ... لذلك فليعلم الشباب أن باستطاعتهم فعلاً أن يقلعوا عن هذه العادة، بقوة الإرادة تساندها وتقويها نعمة الروح القدس ... «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤: ١٣).

٦- أن يكون لديك نوع من التحفظ، لا تُغَذِّ خيالاتك بقراءات مثيرة، أو قصص أو أفلام أو صور خليعة: «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها ... احفظ نفسك طاهرًا[٣١]» (٢تي٢: ٢٢؛ ١تي٥: ٢٢).

٧- لتكن عينك بسيطة: لأن التطلع إلى الأجساد بغرض الشهوة بها يُحرِّك العدو الغرائز بداخلك، ليس شرطًا في وقت النظر بل بالصور التي يطبعها في عقلك الباطن عندما يُحاربك بها وقت ضعفك.

٨- أن تشغل وقت الفراغ بالأمور المفيدة، كالقراءات الرُّوحيَّة والثقافية والعلمية، والاجتماعية واللقاءات المثمرة البناءة والرياضة وعندما تهاجمك بعض الأفكار الشريرة، اهرب منها بالأفكار وبالأنشطة البديلة.

٩- وإذا كنت تحتفظ بكتب أو صور سواء في بيتك أو على جهاز الكمبيوتر أو غيره ... فأزلها على الفور ...! حتَّى تُغلق الباب على نفسك عندما تضعف وتريد شيئًا تثير نفسك به.

---

[٣١] keep yourself clean

١٠- لا ترضَ بغير حياة النُّصرة بديلاً، فالبعض يُجاهد لتقليل عدد مرات السُّقوط فيها، وهذا حسن، وقد تكون هذه خطوة في طريق النُّصرة لكن لنا ثقة أن معونات الرَّبّ تضمن لك النُّصرة الكاملة.

سؤال: أنا مستعبد لعادة شريرة جدًا ولا أطيق نفسي عندما أعملها. حاولت بكل الطرق. صُمت وصليت وعاقبت نفسي. ولم أفلح. هل هناك أمل؟

الإجابة[٣٢]: نعم بكل تأكيد يوجد أمل. لكن مشكلتك أنك تنتظر هذا الأمل من داخلك كأن يحدث مثلاً نمو في قدراتك فتقوى علي مواجهة هذه العادة أو أن تبرز بصورة معجزية إمكانية جديدة داخلك تمكنك من الانتصار، أو أن تكشف فجأة انصلاح حال الجسد الفاسد الذي فيك ... أو غير ذلك من آمال ولذلك خاب ظنك.

لكن الأمل الذي أؤكد لك وجود مصدره خارجك تمامًا - وهو المسيح- ليس كما كنت تتوقع يُعينك ويقوي قدراتك الانتصار على نفسك، كلا بل هو يريدك أن تنصرف تمامًا عن نفسك مقتنعًا بفشلها في هذا الأمر ثم يريدك أن تعيش في أجواء روحية «في الروح» مركزها المسيح ولينشغل فكرك دائمًا بأمور روحية غرضها المسيح. ففي هذه الأجواء يعمل الروح القدس - بقوته فيك محررًا إياك من قوة الخطيَّة الساكنة فيك.

---

[٣٢] مجلة نحو الهدف- العدد الخامس- ص٢٨ - بقلم د. ماهر صموئيل.

كيفية التعامل مع الرغبة الجنسية؟

[٣٣]إذا أردنا أن نعرف حقيقة شيء ما فيجب أن نهتم دائما بمعرفة أصوله، وهذا ما فعله الرب تماما فى متى ٤: ١٩

وأول إعلان الهي للأمور التي تشغل بالنا نجده في تكوين ١: ٢٧، ٢٨ «فخلق الله الإنسان على صورته ... ذكرًا وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض».

وضع الله – قبل السقوط – في الإنسان الرغبة الجنسية بحيث أن كل رجل وكل امرأة ينجذب تلقائيا إلى الجنس الآخر. وقد يقوى هذا الميل لدى شخص ما أكثر من الآخر.

هل الرغبة الجنسية خطية؟

ذكرت كلمة الله أن هذه الرغبة تتواجد عند المرأة مثل ما تتواجد عند الرجل. قال الله لحواء: «وإلى رجلك يكون اشتياقك» (تك ٣: ١٦) وهذا يشمل أيضًا أن المرأة ستكون في حالة خضوع لزوجها. وفى نشيد الأنشاد ٧:١٠ تقول العروس عن عريسها: «وإلىَّ اشتياقه» أي الاحتياج للحصول على رد على عواطف المحبة التي يشعر الإنسان بها أكثر مما يقصد به رغبة جنسية.

ما موقفنا تجاه هذه الرغبة؟

إذا كان القلب والفكر في انشغال دائم بهذه الأمور فإننا معرضين للانزلاق في التجارب الجسدية «**ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا**

---

[٣٣] من كتاب الشباب والزواج والأسرة، بتصرف، ج.جراف.

كملت تنتج موتا» (يع ١:١٤ و١٥). فالشهوة تؤدي إلى الخطية. وطبيعتنا الفاسدة التي تسمى بـ «**الخطية**» هي دائمًا مصدر لكل شهوة رديئة (رو٧: ٨) ثم يليها فعل الخطية. تسمى هذه الشهوة في رسالة يوحنا الأولى ٢: ١٦ بـ «شهوة الجسد»، وقال الرب: «إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجِّس الإنسان. لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق...»، وخطايا أخرى (مر٧: ٢٠-٢٣). لذا يقول الحكيم: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» (أم ٤: ٢٣).

كم من أشياء تؤثر على قلوبنا وأفكارنا ومشاعرنا وتنتج الشهوة، لذا يحذر الرسول بولس ابنه تيوثاوس من الشهوات التي تأتى من الداخل ومن الخارج «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها» (٢تى٢: ٢٢) ويشجعه أيضًا بطريقة إيجابية قائلاً: «احفظ نفسك طاهرًا» (١تى٥: ٢). و«كُنْ قدوة ... في الطهارة» (١تى٤: ١٢) و«عظ .... الحدثات كأخوات بكل طهارة» (١تى ٥: ٢). كانت هذه التحذيرات لتيموثاوس نفسه وبالأخص عندما يتعامل مع الفتيات.

كيف نعيش هذه الطهارة؟

إن السهر في طاعة كلمة الله ضرورة هامة جدًا لكلا الجنسين على السواء حيث أن كل مجهود شخصي محكوم عليه بالفشل فعلينا أن نطلب مع داود «أعط عبدك قوَّتك» (مز ٨٦: ١٦)، «بم يزكى الشاب طريقه؟ ... بحفظه إياه حسب كلامك» (مز ١١٩: ٩).

هؤلاء لم يسهروا في المواقف التالية:

١- **دينَة** (ابنة يعقوب): خرجت لتنظر بنات الأرض، أي مشاركة

مُسالمة مع أهل العالم، وقابلت شكيم، وكان لعدم السهر نتائج مريرة، مما أدى لضياعها (تك ٣٤: ١ و٢).

٢- **شمشون:** عندما نزل إلى تمنة رأى امرأة من بنات الفلسطينيين (قض ١٤: ١) وترك عينيه تتجولان في عالم معاد لله، بدلاً من أن يسكن وسط شعب الله.

السهر يحفظ من الخطية، ولكن هناك أشياء، بطبيعتها تقدر أن تغوي الإنسان، لكن «مخافة الرب بُغض الشَّر» (أم ٨: ١٣) «ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات» (رو ١٣: ١٤). وقد لا تدرك المؤمنات أن لباسهن وسلوكهن في كثير من الأحيان يثيران شهوات الشبان لدرجة قد تؤدى إلى سقوطهم، وفي صموئيل الثاني ١١: ٢ في حالة بثشبع فإن داود كان مسؤولاً مسؤولية كاملة عن فعلته ولكن كلمة الله رأت أيضًا أن تصرُّف المرأة اتسم بعدم الحذر مما أثار شهوة داود.

كيف نحصل على هذه الحرية؟

✓ لا للحلول المؤقتة:

«فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك ... وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك». ليس قطع أعضائنا هو الحل الجذري للمشكلة ولكن اعتبار الإنسان العتيق في حكم المائت. اقطع، اقلع، ألق بعيدًا عنك كل ما يدفعك لعمل الخطية. إذا أعثرني شيء ما (كتاب، أو مجلة، أو صورة مثلاً ...) لن احتفظ به حيث سيكون مصدر خطر دائم لي ولكن سألقيه في النار. وهكذا ينبغي أن أفعل مع أي علاقة مع أي شخص من العالم قادرة أن تجذبني إلى طريق شرير. إنني لن أغير شيئًا

في الإنسان العتيق بهذا التصرف، ولكنى قد أزلت فرصة من فرص السقوط التي يقدمها لي العالم.

✓ اهربوا من الشهوات:

ينبغي أن نمتنع عن **الشهوات الجسدية** التي تحارب النفس (١بط٢: ١١). وهذا يعنى الاستخدام الغير صحيح الذي نستخدم به جسدنا. كثيرًا ما تظهر الإغراءات فجأة بحيث لا نكون مستعدين دائما للدفاع عن أنفسنا. فكلمة السر في هذه الحالة هي: «**اهرب**»، ولا ننسى أن ''جناحي حمامة للهروب أقوى من كفى أسد للمقاومة''. والتعفف أي (ضبط النفس) هو آخر ثمر الروح (غلا ٥: ٢٢)، ويقول لنا الرسول في عدد ١٦ «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد». وهذه هي نتيجة الحياة التي يقودها الروح القدس. وبالقرب من الرب يسوع سنجد الغفران، رد النفس، الحرية، والقوة للغلبة.

الإنترنت

بين المُتعَة والإدمان[٣٤]

كيف نتمتع به دون أن ندمنه؟

مُستخدم الإنترنت ربما تكفيه ساعة أو أقل في بدايات استخدامه للإنترنت مع الشعور بالمُتعة الكافية، ومع الوقت وتكرار الاستعمال وتشعب العلاقات الإلكترونية والفعاليات الأخرى يتولد لدى المستعمل شعور بالحاجة إلى المزيد من الوقت للوصول إلى المتعة نفسها التي شعر بها في البدايات، وإذا ما قرر الانسحاب فإنه سيعاني من القلق والتوتر وحدة المزاج، هذه الأعراض تشبه أعراض الإقلاع عن التدخين، وتشبه أعراض المنقطعين عن الأدوية المهدئة، كل هذه الأشياء يمكن أن ندرجها تحت مُسمَّى الإدمان.

يمكن وصف طبيعة إدمان الإنترنت بأنها فشل لا إرادي للتحكم من دون أية حالة سكر أو فقدان للوعي الذاتي فإن كثيرًا من الأطباء النفسيين يقرنون إدمان الإنترنت بالإدمان على المقامرة ولكنه لا خلاف بأنه

---

[٣٤] عن الإنترنت بتصرف.

يشترك مع بقية أنواع الإدمان الأخرى بقدرته على التدمير.

كيف يحدث الإدمان على شبكة الإنترنت؟ وكيف نميِّز مَنْ يعانون منه من المستخدمين الشباب للشبكة؟ هذا الموضوع أثار تساؤلات بين الخبراء الصحيين.

حتى الوقت الحالي، ما زالت هناك خلافات بين الأوساط المعنية حول أعراض الإدمان على شبكة الإنترنت والانغماس فيها بشكل يشبه المرض.

وقسَّم عالم نفساني أمريكي أعراض هذا الإدمان إلى خمسة أنواع هي:

١- تجاوز المستخدم وقت استخدام شبكة الإنترنت الوقت المحدد في كل مرة.

٢- إهمال المسؤوليات الأخرى.

٣- محاولة تقليل وقت استخدام الإنترنت في كل مرة لكن بدون جدوى.

٤- تفاقم العلاقات مع الآخرين بسبب الانهماك في الشبكة.

٥- الشعور بالاضطراب أو القلق عند الابتعاد عن الإنترنت.

وهناك أشكال مختلفة حول الإدمان على شبكة الإنترنت، ويمكن تلخيصها بصورة عامة إلى خمسة أنواع أيضًا:

أولها: الانغماس في صفقات على شبكة الإنترنت، مثل شراء السلع والمشاركة في المزادات أو القمار؛ **ثانيها:** الانغماس في تبادل أطراف الحديث مع الآخرين وإهمال مشاعر الأصدقاء أو أفراد العائلة في الحياة الواقعية؛ **ثالثها:** الانغماس في زيارة المواقع الالكترونية الجنسية؛

رابعها: الانغماس في البحث عن المعلومات على شبكة الإنترنت أو تحميلها؛ **وخامسها:** الانغماس في الألعاب الإلكترونية على الشبكة.

ولأن الإنترنت ما زال أمرًا حديثًا في حياة الناس، لا يعرف الناس كثيرًا عن مشاكله وخاصة إدمانه، مع ذلك، لا يمكن القول إن الذين يستغرقون وقتًا طويلاً على الشبكة هم مصابون بهذه الحالة. إن وقت استخدام الإنترنت جانب واحد، والأهم منه هو ما يتعلق بشعور المستخدم عند عدم زيارة شبكة الإنترنت.

وإذا شك شخص ما في أن أحد أفراد عائلته أو أصدقائه يعاني من هذه الحالة، فبإمكانه مساعدته **بالخطوات التالية التي يقترحها الخبراء:**

أولاً: تنبيهه إلى الأضرار الناجمة عن الانغماس في شبكة الإنترنت، وتشجيعه على زيادة البقاء مع أفراد العائلة والأصدقاء وزيادة وقت الاستراحة والنوم والاهتمام بالعمل ... إلخ، والعمل قدر المستطاع على إبعاده عن الإنترنت.

ثانيًا: تشجيعه على فتح سجل يومي لأوقات زيارة شبكة الإنترنت وموضوعات الزيارة، ثم وضع جدول محدد للنشاطات اليومية، مثل وقت القيام من النوم وتناول الوجبات الثلاث وموعد استخدام شبكة الإنترنت والفترة اللازمة. وبهذا فقط يمكن معرفة هل بإمكان المدمن أن يحقق تقدمًا أم لا؟

وفضلاً عن ذلك، يمكن كتابة العواقب الخمس للإدمان على الإنترنت والحسنات الخمس لعدم الانغماس كليًا فيه ووضعها في مكان بارز أو وضع ساعة منبهة بجانب جهاز الكمبيوتر لتنبيهه بوقت الخروج من الإنترنت. وبالطبع إن الشيء الأهم هو تطوير الهوايات وزيادة التبادلات مع الآخرين.

الأطفال وإدمان الإنترنت:

يعيش الجيل الجديد من الأطفال والناشئين في عصر الإنترنت، ومعظم أولياء أمورهم يشجعونهم على استخدام الكمبيوتر، لكن يجب في الوقت نفسه تشجيعهم على تطوير عادات جيدة لاستخدام الإنترنت تمشيًا مع المُمارسات الأخرى كالرياضة والراحة ولقاء الأصدقاء ومُمارسة الألعاب في الهواء الطلق حتَّى لا يقعوا فريسة للإدمان على شبكة المعلومات.

إذن، كيف يعرف أولياء الأمور ما إذا كان أولادهم يعانون من مشكلة ما في هذا الصدد؟

يجيب الخبراء على هذا التساؤل بالقول إنه إذا ظهرت الحالات الثلاث الآتية في آن واحد، فيجب رفع حالة اليقظة تجاهها. وهي ظهور التعب الجسدي أو الذهني وانخفاض المستوى الدراسي وهو ما يظهر في علامات النتائج الدراسية وفقدان الاهتمام بالهوايات السابقة وقلة اللقاءات مع الأصدقاء.

وقد يكون هناك سبب آخر وراء ذلك، لكن على أية حال، يجب مناقشة هذا الأمر بين أولياء الأمور والعائلات وخاصة الأولاد حول ذلك.

سؤال وجواب:[٣٥]

سؤال: أنا شاب مؤمن جامعي ولي علاقة مع الرَّبّ يسوع منذ ٥ سنوات. بدأت علاقتي بالإنترنت من حوالي سنتين مثلي مثل كل شباب جيلي، فلقد

---

[٣٥] عياد ظريف – رسالة الشباب – العدد يوليو وأغسطس ٢٠١٠.

تردد على آذاننا دائمًا مقولة: ''إن الأمية ليست أمية القراءة والكتابة، لكنها أمية الكمبيوتر والإنترنت''، وهذا ما دفعني دفعًا إلى عالم الكمبيوتر والإنترنت.

بدأت بعمل بريد إلكتروني أستقبل من خلاله كل رسائل أصدقائي في الجامعة وفي الكنيسة، ومع زيادة عدد أصدقائي أجد نفسي في احتياج يومي إلى فتح ال email والرد على كل الرسائل، ثم الدخول على مواقع الدردشة chatting، ثم تعرَّفت على مواقع كثيرة جدًا منها ما هو روحي وما هو اجتماعي وللأسف ما هو إباحي.

ولا أخفي عليكم إنني كثيرًا ما كدت أنزلق إلى هوة هذه المواقع الرديئة التي يصعب مقاومتها، لكن نعمة الله كانت تحفظ، ولذلك حاولت أن أعوض ذلك بالإكثار من المواقع المسيحية، مما جعلني أقضي من ٥ إلى ٧ ساعات يوميًا على الإنترنت بلا تعب أو ملل. ثم تعرفت على الموقع المذهل facebook والحق يُقال: وجدت في هذا الموقع أكثر مما كنت أتصور، فلقد وجدت عليه كل أصدقائي القدامى والجدد وصرنا نتبادل كل الأخبار والمناسبات.

لا أشعر بالرغبة في الخروج من المنزل وحتى في المنزل لا أشعر برغبة في التحاور مع الأسرة مما جعلهم قلقين على لسبب كثرة الساعات التي أقضيها في تصفح الإنترنت بالرغم من أنني حريص جدًا على عدم الدخول إلى المواقع الإباحية. فهل هم محقون في مخاوفهم؟ وما الخطا في ما أفعله؟

الإجابة: سعدنا جدًا برسالتك الصريحة جدًا والواقعية جدًا، والحق يقال إنني وجدت في رسالتك بعض الأمور الإيجابية الرائعة، والتي أجد نفسي مدفوعًا أن أمدحك عليها قبل أن نقدم نصيحة بسيطة تخص تساؤلك.

فلقد ذكرت في رسالتك أنك طالب جامعي، وتحب الرب، ولك معرفة بالإنترنت. وأنا أرى أن هذه الأمور الثلاثة تعتبر من مظاهر النجاح في

حياة أي شاب.

فما أجمل أن تكون مؤمناً ولك علاقة حيَّة مع الرَّبّ يسوع، «فمعرفة القدوس فهمٌ» (أم ٩:١٠).

وما أجمل أن تكون طالبًا ناجحًا، فمعرفة المسيح حتمًا تقود إلى نجاح دراسي، بل نجاح في كل شيء (٣ يو ٢).

وما أجمل أن تكون لك دراية بكل مصادر البحث والمعرفة من كمبيوتر وإنترنت، فالبحث والمعرفة ينميان العقل.

ولكن الخطورة في رسالتك يا صديقي تكمن في الخط الأحمر الذي قد تتجاوزه في استخدامك لوسائل المعرفة هذه، والذي بالتبعية سيحولك إلى مدمن انترنت.

فلقد صرح ''كيمبرلي يونج'' أستاذ علم النفس بجامعة بيتسبرغ في برادفورد بالولايات المتحدة الأمريكية بأن: ٦ % من مستخدمي الإنترنت في العالم في عداد المدمنين.

ولكن ما هو تعريف الإدمان في الإنترنت؟

إن الإدمان هو عدم قدرة الإنسان على الاستغناء عن شيء ما، بصرف النظر عن هذا الشيء طالما استوفى بقية شروط الإدمان من حاجة إلى المزيد من هذا الشيء بشكلٍ مستمرٍ حتَّى يشبع حاجته حين يحرم منه، مما يؤدي إلى تجاهل الأنشطة والمناسبات ومسؤوليات العمل والدراسة والرياضة أو شكوى المقربين منه من قضاء الشاب الوقت الطويل أمام الإنترنت، وأصبح من المستحيل تقليل وقت متابعة الإنترنت أو تحديد وقت مع بروز أعراض انسحابية عندما يكون الشخص بعيدًا عن جهاز الإنترنت.

آثار الإدمان السلبية:

- **الأضرار الجسمية:** ومنها الأضرار التي تصيب الأيدي من الاستخدام المفرط للفأرة (الماوس)، أضرار تصيب العين نتيجة للإشعاع التي تبثه شاشات الكمبيوتر، أضرار تصيب العمود الفقري والرجلين نتيجة نوع الجلسة والمدة الزمنية لها مقابل أجهزة الكمبيوتر، كذلك البدانة وما ينتج عنها من أمراض.
- **الأضرار النفسية:** إن شبكة الإنترنت تقدِّم لنا عالمًا وهميًا ليس موجودًا على أرض الواقع مما قد يسبِّب آثارا نفسية هائلة خصوصًا على الفئات العمرية الصغيرة حيث يختلط الواقع بالوهم وحيث تختلق علاقات وارتباطات غير موجودة في العالم الواقعي.
- **الآثار الاجتماعية:** ينتج إدمان الإنترنت انسحابًا ملحوظًا للإنسان من التفاعل الاجتماعي نحو العزلة المدعمة بكل وسائل المتعة المتعددة على الإنترنت.
- **الأضرار الروحية:** يؤدي إدمان الإنترنت إلى إهمال الشاب إلى وقت شركته مع الرَّبّ وقراءته في كلمة الله مما يؤدي إلى وجود حالة من الجوع التي تجد في كل مر حلاوة، بل أيضًا يفقد الشاب استخدام الأسلحة الرُّوحيَّة وكل وسائل الحماية فيجد نفسه مهزومًا دائمًا ومنزلقًا إلى مستنقع المواقع النَّجسة بدون قدرة على الخروج منها.

علاج إدمان الإنترنت:

أولاً: يجب أن تدرك يا صديقي أنك في خطرٍ، ويجب أن تكون لديك الرغبة في التخلص بل الهروب من هذه الحالة الخطيرة جدًا، لذلك أشجعك أن تلقي بنفسك وعجزك على الله القدير كما ألقيت بنفسك عليه

ليخلِّصك يوم أن قبلته في حياتك، الق بنفسك عليه الآن لينقذك من الانحدار إلى هذه الهوة العميقة.

ثانيًا: إليك بعض النصائح العملية والعلمية – والتي أرى أنها مفيدة لك:

١- استخدم إدارة الوقت لضبط ساعات يومك، أعط لكل شيء في يومك وقتًا محددًا لا تتجاوزه مهما تكن الأسباب.

٢- اعمل أعمالاً عكس التي تعودت عليها، فلو كنت معتادًا على استخدام الإنترنت طيلة أيام الأسبوع، عليك الانتظار حتَّى تستخدمه في يوم الإجازة الأسبوعية، وإذا كنت تفتح البريد الإلكتروني أول شيء حين تستيقظ من النوم نطلب منك أن تنتظر حتَّى تفطر، وإذا كنت تستخدم الكمبيوتر في حجرتك الخاصة نطلب منك أن تضعه في حجرة المعيشة مكشوفًا للجميع.

٣- أوجد موانع خارجية تحدد وقت استخدامك للإنترنت، مثل ضبط مُنبَّه قبل بداية دخولك الإنترنت بحيث تنوي الدخول على الإنترنت ساعة واحدة مثلاً حتَّى لا تندمج في الإنترنت، وأيضًا يجب عليك تقليل وتنظيم ساعات استخدامه بحيث إذا كنت – مثلاً – تدخل على الإنترنت لمدة ٢٠ ساعة أسبوعيًا نطلب منك التقليل إلى ١٠ ساعات أسبوعيًا، وتنظيم تلك الساعات بتوزيعها على أيام الأسبوع في ساعات محددة من اليوم بحيث لا تتعدى الجدول المحدد.

٤- انضم إلى مجموعة أصدقائك المؤمنين في الاجتماع، اقضوا وقتًا معًا في الشركة الروحية، واحرص على وجودك في وسط

المؤمنين، فهذا سوف يحررك من الانعزال وأيضًا سيقودك إلى الاندماج عمليًا مع باقي أعضاء الجسد.

٥- أخيرًا يا صديقي، ثق في الله القدير، فحتى وإن فسد الوعاء فإنه – تبارك اسمه – يعود ويصنعه وعاءً آخر كما يحسن في عينيه، فلا تفشل من حالتك فالرَّبّ فيه الكفاية لتحريرك.

السقوط المُتكرِّر[٣٦]
والعِتْق

«لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع
قد أعتقني من ناموس الخطية والموت»
(رو٨:٢)

من أشهر أسباب السقوط المتكرِّر في الخطية، خاصة في بداية الطريق مع الرب في الحياة الروحية، هو أن يكون الشخص لم يختبر العتق بعد. فالشخص الراجع إلى الله كل ما يشغل تفكيره ويقلقه هي خطاياه الكثيرة التي تظهر أمامه في بشاعتها وما تستحقه من دينونة طبقًا لقداسة الله. وعندما يسمع البشارة ويعرف قيمة وفاعلية دم المسيح الذي يطهر من كل خطية، فإنه يجد راحة الضمير المُتعَب ويتمتع بالسلام مع الله. والرسول بولس قد تناول في رسالة رومية الأصحاحات ١ – ١١:٥ موضوع المذنوبية المرتبطة بخطايانا الفعلية، وكيف أننا بسببها كنا

---

[٣٦] الفصل بكامله بقلم د محب نصيف وقد أُعد خصيصًا لهذا الكتاب.

مُدانين وتحت قصاص من الله. وأوضح أن علاج هذه الحالة كان في سفك دم المسيح على الصليب، وأننا بالإيمان صرنا «متبررين الآن بدمه» (رو٥:٩)، و«إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو٥:١).

أما مشكلة الخطية التي في الجسد (الطبيعة الفاسدة فينا)، وهي المشكلة الأعمق والتي لا يكتشفها الشخص بسرعة في البداية، فقد تناولها الرسول في القسم التعليمي الثاني من الرسالة (رو٥:١٢ – ٨:٣٩)، وفيها يتكلَّم الرسول عن الخطية بالمفرد. ليس ماذا فعلت، بل من هو أنا في الأصل؟ فالمشكلة هنا ليست هي الخطية التي ارتُكبتْ بل الخاطي نفسه، هذا الكيان الفاسد الذي لا يمكن إصلاحه. ويجب أن نعرف أن الخاطي يخطئ لأنه خاطئٌ وليس خاطئًا لأنه يخطئ. إنه خاطئٌ بالطبيعة الفاسدة الموروثة وليس بما يفعله. إن القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، والقلب منه مخارج الحياة. ومن الداخل من قلوب الناس تخرج كل الشرور. وإن كان الدم يتعامل مع خطايانا الفعلية لكنه لا علاقة له بموضوع الخطية التي في جسدنا، ولا كيفية التحرر منها. فهذه المشكلة علاجها في الصليب حيث أن المؤمن قد مات اعتباريًا وشرعيًا مع المسيح. هذا ما قاله بولس: «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلا٢:٢٠). هذا يعني أنني كإنسان أحتاج إلى بديلين: بديل مات لأجلي ليضمن الغفران بسفك دمه على الصليب، وبديل في داخلي يضمن الانتصار على قوة الخطية بحياته فيَّ التي أمتلكها بالروح القدس. وفي الواقع فإن الحياة المسيحية الصحيحة لا يستطيع أن يحياها سوى المسيح نفسه. وعدم إدراك هذه الحقيقة هو سبب التعثر والسقوط المتكرِّر.

والمؤمن في بداية الطريق لا يدرك الأبعاد المختلفة لصليب المسيح وأقصى أمانيه هي الحصول على الغفران والتبرير والسلام، ويتصور بذلك أن كل المشاكل قد انتهت. ولكونه قد وُلد من الله وحصل على طبيعة جديدة، فقد شعر برغبات وأشواق جديدة مقدَّسة، معها ظن أنه أسعد إنسان، فقد صار ابنًا لله، مغفور الإثم، متبررًا مجانًا بالنعمة بالفداء الذي بيسوع المسيح، وهذا كل ما يشغله في بداية الطريق.

ويجب أن نعرف أنه في الصليب لم يمت المسيح لأجل الخطاة فقط، بل إن المؤمن نفسه قد مات مع المسيح، والمعمودية تشهد بذلك. ويقول الرسول: «إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته» (رو٦:٥). وبالطبع فإن المؤمن لم يمت حرفيًا ولكن شرعيًا واعتباريًا. هذه الحقيقة تُقبل بالإيمان بما فعله الله في المسيح لتحريرنا.

هذا الموت قد قطع العلاقة بالخطية كأصل موروث وطبيعة ساقطة ونبع فاسد يسكن فينا ويسود علينا طالما كنا أحياء. وهذا ما قاله أيوب عن الموت: «الصغير مثل الكبير هناك والعبد حر من سيده» (أي٣:١٩). إن السيِّد القديم لم يتغيَّر، والمسألة ليست هي أن أتغلب أنا عليه، لكن الذي حدث هو أني أنا الذي مت في صليب المسيح، وهذا ما قطع العلاقة بيني وبين هذا السيد. والمولود من الله حديثًا، بعد أن فرح بغفران خطاياه فإنه يصطدم بخيبة أمل مريرة عندما يكتشف أن الخطية كنبع فاسد بكل رغباتها الشريرة باقية كما هي لم تتغير، بل على العكس ازدادت عنفًا وشراسة. لقد امتلك الطبيعة الجديدة برغباتها المقدسة ورفضها للخطية، وهو يريد أن يعيش مقدسًا روحًا ونفسًا وجسدًا، ويعمل إرادة الله، ويحاول جاهدًا بكل إخلاص تنفيذ تلك الرغبات الحسنة بقوته الذاتية، واضعًا نفسه تحت مبدأ الناموس على أنه مسؤول أمام الله عن

كبح رغبات الجسد، لكنه يصطدم بقوة معاكسة في كيانه هي جسد الخطية الكائن في أعضائه. هذا الجسد نشيط جدًا في فعل الخطية، وضعيف جدًا وعاجز إلى حد الموت في فعل إرادة الله. لهذا يسميه الرسول «جسد الخطية» (رو٦)، و«جسد هذا الموت» (رو٧).

والرسول قبل أن يستعرض التدرج في الاختبار العملي (رو٧)، حتى يصل إلى العتق الكامل ويهتف من أعماقه هتاف النصرة والغلبة على الخطية التي أذلته لفترات طويلة واستنفدت كافة المحاولات (رو٧: ٢٥ – ٨: ١ –٣)، فإنه قد شرح لنا في رومية ٦ الأساس التعليمي لهذا الاختبار في ثلاث نقاط محددة:

١- «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطَل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبَد أيضًا للخطية» (رو٦: ٦). والكتاب لا يطالبني أن أموت فهذا ليس في مقدوري، لكنه يخبرني بأنني قد مُت يوم مات المسيح. هذا ما عمله الله ويراه الله.

٢- «احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو٦: ١١). وذلك عندما أقبل ما عمله الله وأصدقه بالإيمان.

٣- «لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رو٦: ١٢ و١٣). وهذه هي الخطوة الإيجابية بعد التحرر من سيادة الخطية.

فالقصة تبدأ بالمعرفة والاستنارة بما عمله الله معنا إذ وضعنا في المسيح واعتبرنا قد متنا معه في الصليب، وعلينا أن نقبل هذا بالإيمان

رغم أننا لم نشترك فيه حرفيًا، فلم نكن هناك يوم مات المسيح. وإذ نقبل ذلك علينا أن نعيش في ضوء هذه الحقيقة ونتصرف طبقًا لها، فنحسب أنفسنا أمواتًا عن الخطية وأحياء لله. فعندما تنادينا الخطية وتغرينا لا نتحرك أو نتجاوب معها ونُذكِّر أنفسنا أننا قد متنا عن الخطية، والذي مات لا يتحرك. وأخيرًا علينا أن نقدم ذواتنا لله وأعضاءنا آلات بر لله بعد أن كانت الخطية تستخدم هذه الأعضاء لتحقيق رغباتها.

وعندما نبدأ عمليًا في تنفيذ تلك الخطوات الثلاث فإننا نصطدم في الاختبار العملي الشخصي بوجود الخطية كطبيعة فاسدة لا تزال تعمل في أعضائنا وتتعارض مع كل هذه الحقائق. فكيف أحسب نفسي ميتًا عن الخطية وأنا أرى أن الخطية كائنة بكل نشاطها وميولها ودوافعها تعمل بكل نشاط فيَّ ضد طبيعتي الجديدة؟ هنا يأتي دور التدريب في رومية ٧، وملخص تدريبات النفس في ذلك الفصل أنه يمر بثلاث مراحل:

١- «أنا جسدي مبيع تحت الخطية» (رو٧: ١٤). وهذا القول لا يصدر إلا عن شخص ولد من الله ونال الحياة الجديدة. فالذي لم يولد من الله لا يشعر بوطأة طبيعة الخطية في كيانه. أما المولود من الله فينزعج عندما يكتشف وجود هذه الطبيعة بنشاطها وعنفوانها كما هي، وأنه لا يقدر عليها، فيظن أنه بجملته جسدي مبيع تحت الخطية. وهذا استنتاج غير صحيح.

٢- ثم يتقدم مرحلة أخرى في الاختبار فيقول: «إن كنت ما لست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيَّ» (رو٧: ٢٠)، التي تريد شيئًا مختلفًا عن إرادته الجديدة. فهو هنا يُميِّز بين الطبيعتين ويعرف أنه شخصيًا ينحاز إلى الطبيعة الجديدة برغباتها المقدسة، ولكنه

يرى الطبيعة القديمة تقاومها وتعمل في الاتجاه المضاد. فيقول أيضًا: «إني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن (الطبيعة الجديدة)، ولكني أرى ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية» (رو٧: ٢٢ و٢٣).

٣- ثم تأتي الخطوة الثالثة في الاختبار: فبعد أن وجد بعض الراحة في أنه شخصيًا يريد أن يعمل الحُسنى ويتمم إرادة الله، ولا يريد أن يعمل إرادة الجسد، إلا أن هذه الراحة لا تكتمل إذ يجد أن إرادته الجديدة عاجزة أمام رغبات الطبيعة القديمة، والنتيجة أن الشَّر حاضر عنده، وأن ما يبغضه إياه يفعل مجبرًا، وأن هذا الناموس الآخر الكائن في أعضائه يسبيه إلى ناموس الخطية. بالاختصار يجد أن الطبيعة القديمة هي الأقوى. ومع الفشل المتكرِّر ييأس من المحاولات ويشعر أنه لا أمل في نفسه فيصرخ: «ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت». إنه لا يقول: كيف أخلص من جسد هذا الموت؟ بل من ينقذني؟ (رو٧: ٢٤). إنه يمد البصر إلى خارج ذاته باحثًا عن شخص آخر كلية وليس عن وسيلة أو قوة للإنقاذ بعد أن يأس من نفسه ومحاولاته. وعندما ينفض يده من نفسه ويتطلع بعيدًا عن ذاته فإنه يكتشف العلاج الكامل في المسيح، فيهتف من أعماقه: «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا» (رو٧: ٢٥)، ودائمًا نهاية الإنسان هي بداية الله.

إن الكثيرين يتوقفون عند هذه النقطة ولا يريدون أن ينفضوا أيديهم من محاولاتهم ومجهوداتهم الضائعة في محاولة إصلاح الجسد. وهم يعتقدون أنهم مسؤولون عن إخماد ثورات الطبيعة الفاسدة فيهم بقوتهم وجهدهم الذاتي، وتمضي الأيام والسنون وهم نائحون وفاشلون فيما

عزموا عليه. إنهم لا يدركون أن الطبيعة الجديدة المقدسة تعطي الرغبات والأشواق المقدسة لكنها لا تعطي القوة لتنفيذ هذه الرغبات، أما القوة الحقيقية الفعالة فهي في الروح القدس الذي يمنحنا حياة المسيح المقام من الأموات، هذه الحياة الظافرة والمنتصرة. وبدون امتلاك هذه الحياة بالروح القدس الذي يُدفِّقها ويُفعِّلها فينا عبثًا نحاول الانتصار على الجسد. لهذا قال الرسول: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو٨:٢).

فالمسألة هنا ليست الحياة في شكلها الظاهري العام، بل ما يرتبط بالأعماق في النفس. فالشخص في رومية ٧ قد لا يسقط في خطايا مكشوفة، لكنه يرى أن الخطية عاملة فيه بقوة. ولست أعتقد أن هناك مؤمنًا واحدًا لم يجتز هذا الصراع أو لا يزال حتى الآن فيه. ومع أن العتق في رومية ٨ قاعدة إيمانية، غير أننا نتعلَّمها بالاختبار أيضًا. فبالاختبار نتعلَّم من كلمة الله أن طبيعتنا القديمة شريرة وفاسدة ولا يمكن تقويمها. وبالاختبار نتعلَّم الحقيقة التي تقولها كلمة الله إن الناموس لا يمكن أن يساعدنا، «لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه فيما كان (الإنسان) ضعيفًا بالجسد» (رو٨:٣)، فمع أن الناموس روحي والوصية مقدسة لكن المشكلة هي في الإنسان الضعيف المائت العاجز عن التنفيذ لإرادة الله، لهذا لا يصلح الناموس أن يكون قاعدة لحياتنا. وبالاختبار نتعلَّم الحق المعلن في كلمة الله أنه لا يمكن أن نساعد أنفسنا. وكلما اتخذنا طابع الجدية في خدمتنا لله وسلوكنا لكي نرضيه، كلما تعمقت فينا هذه الاختبارات والنتائج، والتي تُحفَر في قلوبنا، حتى أننا نصرخ في يأس في النهاية قائلين مع من قال: «ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد

هذا الموت؟» (رو٧: ٢٤). عندئذ سنخلص إلى هذا الاختبار: أن الناموس لا يمكن أن يكون قاعدة حياة، ولكنه قاعدة موت لأي إنسان بسبب طبيعته الشريرة. ولا ينبغي أن أبحث عن الكمال في داخلي، بل أتحول إلى «يسوع المسيح ربنا» الذي ينقذني ويحررني، فتأتي ترنيمة الانتصار: «إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع (والدينونة هنا بصفتها المطلقة من جانب الله أو الضمير أو الناموس) ... لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو٨: ١، ٢)، والنتيجة المباركة هي: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠).

إنه خداع وقصر نظر في فهم كلمة الله إذا علمنا أن الإنسان يفرح بالعتق في رومية ٨ وهو لا يزال في مرحلة الصراع بين الحُسنى والشر الواردة في الجزء الأخير من رومية ٧. هل يمكن لإنسان أن يكون في عبودية وفي ذات الوقت متمتعًا بالحرية؟ هل يمكن لواحد أن يقول: «أنا جسدي مبيع تحت الخطية»، «والشَّر الذي لست أريده إيَّاه أفعل»، وفي ذات الوقت يهتف: «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت»؟ كلا حتى يخرج من عنق الزجاجة ويختبر قوة الروح القدس الذي يعطي حياة قيامة المسيح.

وهكذا نرى في رسالة رومية مركز المؤمن بصفة عامة بحسب أفكار الله. لقد رأى خطاياه وآمن أنها غُفرتْ على أساس دم المسيح. كما رأى أيضًا فساد جسده وآمن أن الجسد قد أُدين في صليب المسيح. «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد» (رو٨: ٣). إنه يعرف أنه قد مات في المسيح، وأنه الآن «في المسيح» وله حياة المسيح المُقام من بين الأموات أمام الله، لذلك فلا شيء من

الدينونة عليه. إنه يمتلك حياة جديدة لا تخطئ (١ يو٣: ١٩)، والروح القدس الأقنوم الإلهي يسكن فيه كالقوة العاملة في هذه الحياة الجديدة، والتي تمكنه أن يسلك بحسب الروح، وبه يُميت أعمال الجسد. إنه انتقل من عائلة آدم الأول – إذ كان يقف أمام الله في حالة وفي وضع الإنسان الساقط – إلى عائلة الله، حيث يحتل فيها الإنسان الثاني، آدم الأخير، الرب يسوع المسيح، مركز الرأس. وليس ذلك فقط، بل إن ذاك الذي كان على الأرض ممسوحًا بالروح القدس ومقتادًا بالروح القدس قد أعطانا من روحه (١ يو٤: ١٣). إن المسيح المُقام هو رأس عائلة الله الجديدة ورأس الخليقة الجديدة التي تضم كل مَنْ هم في المسيح ويسكن فيهم الروح القدس، وإن كان أحد له روح المسيح فإنه مرتبط بالمسيح، والروح هو قاعدة حياتنا الجديدة لنسلك حسب مقامنا الجديد. فنحن نخوض في حمأة (رو٧) لكي نبلغ الصخرة القائمة أمامنا في نهاية الأصحاح وبداية أصحاح ٨، ونتعلَّم دروسًا مفيدة ولكنها قاسية. دروسًا تحت عنوان «ليس ساكن فيّ أي في جسدي شيء صالح» (رو٧:١٨)، وليست هناك قوة في أفضل رغباتنا حتى ولو كانت هذه الرغبات من نتاج الطبيعة الجديدة فينا التي تُسمى في هذا الأصحاح [ناموس ذهني] و[الإنسان الباطن]. ومن ثم يأتي وجع القلب من الخطية ومن الذات وتتطلع النفس المتعبة إلى منقذ يعتق، وهذا نجده في الرب يسوع المسيح.

وعندما نسأل:

هل يمكن أن يكون شخص فى صراع مع الخطية على نحو ما هو مُفصَّل فى رومية ٧ ومع ذلك يكون له سلام مع الله؟

الواقع أنك تندهش عندما تتأمل في رومية ٧ إذ لا تجد في الأعداد ٧–٢٤ أية إشارة إلى عمل المسيح الفدائي أو إلى الروح القدس أو أية إشارة

إلى النعمة، ولا يُذكر اسم الرب يسوع في هذا الجزء كله. فالشخص هنا يدور في فلك ذاته باحثًا عن الصلاح.

وواضح أن تلك الاختبارات الأليمة هي اختبارات شخص مع أنه وُلد من الله، وله بالتالي طبيعة جديدة، لكنه لا يزال في ضميره المُقيِّد لحريته، ومن ثم فكل شيء أمامه في حالة تشويش. فمع أنه حصل على الفداء، ويمتلك عطية الروح القدس، إلا أنه لا يدرك ذلك، فهو محروم من أشعة نور الحرية والعتق كما هو موصوف في (رو٨).

فما هو إذًا سرّ الحصول على العتق؟ الجواب: هو بكل بساطة التحول عن الذات والمشغولية الكاملة بالمسيح.

ولنلاحظ كثرة تكرار كلمة «أنا» وياء المتكلِّم في رومية ٧: ٧-٢٤ والتي تصل إلى أكثر من ٤٠ مرة. ولكن في عدد ٢٤ نلاحظ التغيير الفجائي، إذ وصل المتكلِّم إلى حافة اليأس فرفع عينيه متحولاً عن نفسه باحثًا عن منقذ خارج عنه قائلاً: «مَنْ ينقذني؟».

لكننا نسأل أيضًا: هل العتق شيء نحصل عليه مثل حصولنا على السلام مع الله في لحظة معينة ونحصل عليه مرة واحدة وإلى الأبد؟ الجواب: نعم. فإن السلام هو نتيجة قبول شهادة الله عن عمل المسيح الكامل، هذا السلام يأتي إلى النفس كما يبرق البرق. والعتق لا يستند فقط على عمل المسيح الكامل بل يستند أيضًا على عمل الروح القدس فينا. لا شك أن هناك لحظة معينة يشرق فيها النور على النفس بما تتضمنه عبارة «في المسيح يسوع» من معان وفيها تتذوق النفس حلاوة الحرية بواسطة «روح الحياة في المسيح يسوع»، ولكن هذا العتق يجب أن نزداد تمتعًا به طالما نحن نعيش ونسلك بحسب الروح. فهو سر الانتصار المستمر على الخطية.

وهناك سؤال أخير هو:

إن بعضًا من المؤمنين يقضون سنوات طويلة فى صراع مع الخطية الساكنة فيهم فهل من نصيحة لأمثال هؤلاء؟

الجواب: هو أننا ننصح هؤلاء أن يتحولوا عن أنفسهم، ويكفوا عن محاولاتهم ومجهوداتهم الجسدية، وأن يتطلعوا إلى المُخلِّص المُنقذ العظيم ليغمروا أنفسهم في أشعة محبته الدافئة، وفي ضياء مجده المنعش. هذا هو العتق الحقيقي.

قال أحد الأفاضل:

''تطلّعَتْ قطرات الماء على سطح البحر إلى السحب البيضاء المارة على وجه السماء، واشتاقت أن تترك الغمر العتيق القاتم، لتلحق مع تلك السحب، وحاولت، واستصرخت الريح لكي تساعدها على بلوغ مرامها. فهبت الريح عاصفة ورفعت الأمواج حتى تلاطمت مع صخور الشاطئ وتطايرت قطرات الماء رذاذًا بديعًا في الجو فظنت أنها ستصل إلى السحب وتستقر هناك، لكن للأسف إذا بها ترجع مرة أخرى لتستقر على سطح الأمواج الداكنة. فعادت تتأوه وتقول: لا فائدة. وسكنت الريح وهدأت العاصفة. ثم أشرقت الشمس وسطعت أشعتها الساخنة على القطرات، وإذا بها ترتفع صاعدة بقوة أشعة الشمس بلا جلبة وبلا كد أو جهد، صعدت بخارًا نحو قبة السماء الزرقاء''.

هكذا العتق. احفظوا أنفسكم في ضياء محبة المسيح فإنكم ستهتفون «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا» (رو٧: ٢٥).

***

شكر

أشكر الرب لأجل قيادته وتعضيده في إعداد هذا الكتاب، أشكر كل الإخوة المشاركين معنا باستمرار في هذه الخدمة، الرب يُكافئ تعبهم، أقدم خالص شكري لخدَّام الرب مَنْ تعبوا في المراجعة وإبداء الملاحظات: نبيل عجيب، إميل رمزي، بهجت عدلي، ومَنْ كان له دور حيوي في تقييم المادة وتنقيحها واقتراح الإضافات د. فرنسيس فخري، وكذلك المراجعة الدقيقة من الأخت/ رينا وديع، والإخوة الذين كان لهم الفضل في المراجعة اللغوية: فؤاد حكيم، كرم جاد.

احرص على اقتناء

- كتيبات في موضوعات عملية، حيث صدر منها:

العشور والعطاء - اغفروا - أكرم أباك وأمك - العثرات - إدانة الآخرين - بركات الألم – أنا الرب شافيك – الحب في المراهقة – ماذا افعل لكي أخلص – الشكر - لا تحزنوا - الثورة المصرية - هل تفكر في الهجرة؟ - العمل الجماعي.

وتحت الطبع: العلاقات الصحيحة – النمو الروحي – السحر والعرافة.

- وكذا سلسلة **''جواب من المكتوب''**، حيث صدر منها: أسالك فتعلمني - معرفة مشيئة الله - مع تساؤلات الشباب-**''لكل سؤال جواب''**.
- وكذا سلسلة **''قصص وعِبَر''** حيث صدر منها الأجزاء الأول والثاني والثالث - وتحت الطبع الجزء الرابع.
- وكذا: سلسلة **''الطعام في حينه''**: صدر منها إحدى عشر جزءً، المتاح منها بالمكتبات: الجزء السابع ''باذلون كل اجتهاد'' - والجزء الثامن ''أنا وبيتي'' - والجزء التاسع ''لتختبروا'' - والعاشر: ''السقوط المتكرر''- والحادي عشر بعنوان ''غذاء الروح'' - وتحت الطبع الجزء الثاني عشر بعنوان: ''القوة الروحية''.